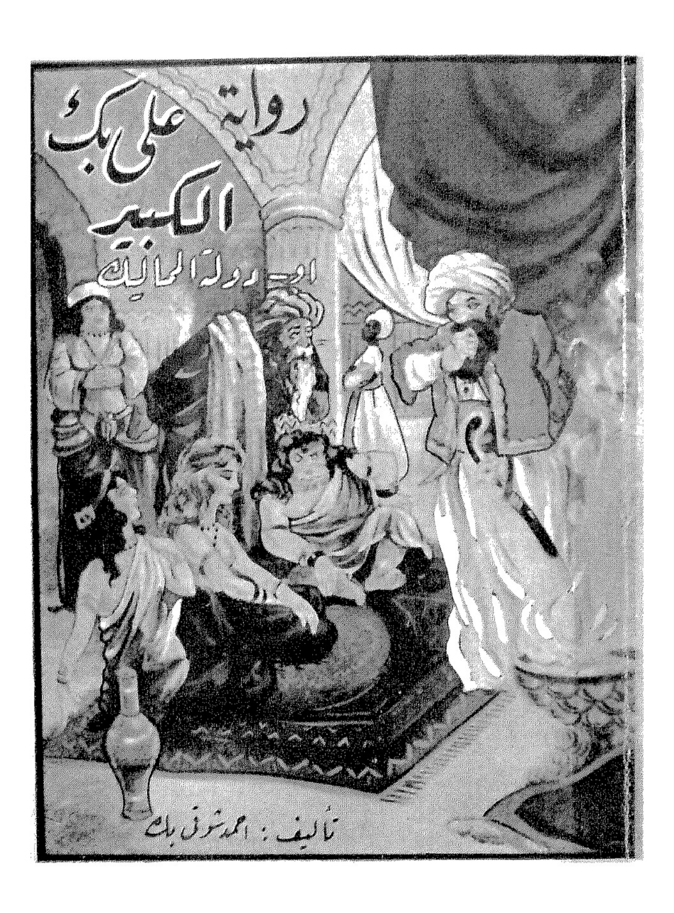

رواية علي بك
الكبير
أو دولة المماليك
تأليف : أحمد شوقي بك

إهـــــداء2005

أ.د./ محمد عثمان نجاتي

القاهرة

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية
١٦٠٣٠/٣٢/١٠٠٠٠

رواية

علی بك الكبير

أو

دولة المماليك

تأليف

احمد شوقی بك

مثلها لاول مرة فرقة السيدة فاطمة رشدی علی مسرح الكورسال فی مارس ٩٣٢

لمناسبة انعقاد مؤتمر الموسيقى الشرقية فى القاهرة هذا العام بفضل اهتمام حضرة **صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول**

جعلت هذه الرواية تحت تصرف اللجنة العليا للمؤتمر لتعرضها وما اشتملت عليه من القطع الغنائية والمواقف الملحنة على حضرات المؤتمرين ضمن ما يعرض عليهم من النماذج عن جهود مصر الحديثة فى الفنون الثلاثة . التأليف القصصى . والتمثيل . والتلحين م؟

١٤ مارس سنة ١٩٣٢ احمد شوقى

تمهيد

(١) زمن الرواية :

حوالى سنة ١٧٧٠ ميلادية

(٢) مكانها :

الفسطاط والصالحية وعكا

(٣) أشخاصها :

على بك الكبير	حاكم مصر ويلقب بشيخ البلد
محمد بك ابو الدهب	متبنى على بك والخارج عليه ومن أمراء المماليك
مراد بك	من أتباع على بك وأولاده
ضاهر العمر	صاحب حصن عكا وحليف على بك
مصطفى اليسرجى	« الجلاب »
آمال شمس زكيه	إماء معروضات للبيع

عشاق	شاب شركسى مع الجلاب
ام محمود	الماشطة والواسطة فى بيع الجوارى
رزق الوكيل	وكيل على بك
بشير بك	من أصحاب على بك
عثمان بك	« محمد بك

قائد الأسطول الروسى فى عكا

أمراء

جواسيس

قــواد

جنـــــد

فتيـات

أغــوات

خـــــدم

الفصل الأول

فى

قصر على بك الكبير

« حجرة من القصر واسعة فخمة على الطراز الشرقى ، مفروشة بنفيس »
« الطنافس قد نثرت فيها الوسائد والصفف وزين سقفها بثريات الزجاج الملون »
« المشكل وركزت فى زوايا أرضها الشمعدانات الكبيرة . . »
« جلس هناك فى انتظار دخول على بك الكبير مصطفى »
« اليسرجى « الجلاب » ومعه ثلاث فتيات شركسيات « آمال » »
«و«شمس»و« زكيه »وشاب شركسى اسمه عشاق من جنسهن»
« وقرابتهن وام محمود الماشطة »

زكيه : يا أمَّ محمودَ تلك دنيا — وهكذا فلْتَكُ القُصورُ
وهكذا شمس فى الليالى — تنزل هالاتِها البدور
قصرٌ سماواتُه الثريا — وأرضه الوشيُ والحريرُ
ام محمود : ونحنُ يا شمس نحن بؤسٌ — بيوتُنا الجِصُّ والحَصيرُ
نُنْقَلُ من حُفرةٍ لِلَحْدٍ — تساوت الدورُ والقبورُ
شمس : يا أم محمود خبِّريني — أههنا ينزلُ الأميرُ
ام محمود: أجل

شمس : ومن ذا وما يُسمَّى ؟

ام محمود : سلطان مصرٍ على الكبير

شمس : والطِيبُ يا أمُّ لم تَسُمِّى النَدُّ والمسكُ والعبيرُ

مصطفى : لا تعجبى هم ملوكُ مصرٍ دنياهُمُو الطيبُ والبَخورُ

زكيه : وما الأميرُ يا يسرجى ما له من العُمُرُ

مصطفى : قد جاوز الشبابَ الآ أنه كهلٌ نضِر

أم محمود الماشطة :

ما بلدُ العزِّ غيرُ مصرٍ كيف طَعِمتُمنَّ يا بناتُ

شمس : طعامُ شاهٍ طعامُ عُرسٍ لم يَرو أمثالَه الرواةُ

ما القصرُ ما الفرشُ ما الأوانى

ما الأكلُ ما الشربُ ما الطهاةُ

مصطفى : هذا هو المُلكُ مُلكُ مصرٍ وهكذا الحظُّ والهِباتُ

وأنتِ آمالُ ؟

آمال : خلّيانى ما تلك الا خُزَعبلاتُ

القصرُ كوخى على جبالٍ جلّلها الثلجُ والنباتُ

اذا عوى الذئب من مكانٍ أجابه الكلبُ والرُّعاةُ

زكيه : أجل حننًا للجبال الشيبِ والشتاء القارسِ العصيبِ

وكلِّ راعٍ واقفٍ للذيبِ أمّن خوفَ الحَمَل الرعيبِ

تلمحُه كالعلمِ المنصوبِ والوعلِ في الجيئةِ والذهوب

والديدبان في فم الدروب

مصطفى : بخ بخ مرحى يا كومةَ الشحمِ

يا جَزَرَ بلوطٍ لكن من اللحمِ

أم محمود : أعرفتَ يا جلاب أنك جئتَ بالحمل الثقيلِ

عن تلك كان لنا غِنًى ما تلك الا سقُط فيل

مصطفى : يا أمَّ محمودَ اقصِدِى لكل سلعةٍ ثمن

إن سُراةَ الناس في مِصرَ يحبون السِمَنْ

وهذه الكَوْمةُ فيها سِمَنٌ لكن حَسَنْ

« يسمع آذان العصر بصوت شجى من محراب في دار الامارة فتلتفت

شمس بأم محمود وتقول :

شمس : ما هـذه الرنّه في قبـة القصر

زكيه : صوت من الجنّه يهتف بالعصر

أم محمود : ما زالت السُنّة والبرّ فى مصر

يا ربّ أيّدهـا بالعز والنصر

شمس لعشّاق:

قم غنّ يا عشّاق أُغنيـة ألمعّاز

وناجِ بالأشواق أحبّة القـوقاز

عشّاق يغنى: كوخٌ وراء الجبـالِ مُكلَّسٌ بالجليـــدِ

فـــديتهُ لا أبالى بكل قصرٍ مَشـيدِ

ما مرَّ يوماً ببـالى الا بللتُ خـدودى

***

يا مــــنزلَ القوقازِ عِمْ من بعيدٍ صباحَا

لمعتَ لمعـــةَ بازى فى الجوِّ سلَّ الجناحا

ســـلِّم على المَعّاز اذا غـدا أو راحا

***

وقـل له يا راعى في الناي هاتِ الأنينا
اسمع على البعد راعٍ صوتاً من الغـائبينا
هل أنتَ للعهد راعٍ أم قد تركتَ الحنينا

« بعد صمت وأطراق من الجميع »

ام محمود للبنات :

تعالَيْن بنـات الشركـس الغيدَ تعالَيْنَا

زكيه : ولِمْ ؟ ماذا ؟

ام محمود : تعالَيْنَ تَزكُنَّ يدى زَيْنَا
فلا أتركُ لا شـعْرا ولا خدًّا ولا عيْنَا

ام محمود لشمس :

تعالَىْ أيهـــا الشقرا وهاتِ شعرَكِ التبرى
هَلُمِّى اقـــتربى منى وألقى الرأسَ فى حجرى
غداً يأخذُكِ الشـارى وما تدرينَ من يَشرى

ام محمود لآمال :

تعالَىْ أيهـا السمرا فان الخيرَ فى السُمْرِ
أشَـــعرٌ ذاك آمالٌ أم الليلُ اذا يَسْرِى

قضـاكِ اللهُ للوالى أو الحاكِم فى مصرِ

آمال فى غضب :

دعينى مرأةَ السوءِ دعينى بومَـةَ الشرِّ

قضـــــاكِ الله للجوع وللسجنِ وللقــبرِ

ام محمود لمصطفى :

ياسيدى النخاس هذه ضَبُعْ فارجعْ بها لا تَشرها ولا تبِـعْ

الا اذا ساوَمنا فيها سَبُعْ

آمال الى صاحبتيها :

قوما اليهـا

شمس : وأنتِ ؟

آمال : لا . لا أُحب الفُضولا

علىَّ ثوبُ جمالٍ ما احتاجَ يوماً ذيولا

شمس : ما الخطب ؟ مِمَّ غضِبتْ آمالُ

زكيه : ما بالُها ساخطةً ما بالُ

أم محمود: غبيةٌ ما عَرَفتْ ما المالُ

مصطفى همساً لشمس :

شمس .

شمس : يسرجى

مصطفى : أنظرى آمالُ ماذا غمَّهـا

ميلى اليهـا وخُـذى فيما يُسرِّى همَّهـا

آمال : بل الحقُ معى وَخذى وأنتنَّ الغبيـاتُ

سوامٌ نحنُ أم نحنُ نفوسٌ ادميـاتُ

أم محمود لزكيه :

وأنتِ يا ضخمةُ يا بدينه يا محملا يخطُرُ فى المدينـه

قومى الىَّ أبلى للزينه رُزقتِ عمدةً بلا قرينه

ثروتُه في داره دفينـه يطلُبُ منا أمرأة سمينه

مصطفى : يا أمَّ محمودَ . أرَى آمالَ جـدَّ مُغضبَة

هائجـة صاخبةٌ ثائرة مقطِّبـة

فى وجهها تكاد تبدو نفسها المعـذَّبَة

مصطفى لآمال :

آمالُ بنتى استريحى وقللى التفكيرا

لا تحملى همَّ شىء دعِى لِىَ التدبيرا

عسایَ أغنَمُ مَلْـكاً — أو استفيدُ أميرا
فتحكمينَ بمصرٍ — وتنزلـــينَ القصورا
مُلْكُ الجمـالِ كبيرٌ — زيديهِ مُلْـكاً كبيرَا
صونی جمالَكِ هـذا — عن أن يعيشَ فقيرا

آمال : يا أبى ما تُرَيدُ بى — أنتَ تلهو وتلعبُ
ملـكةٌ أو أميرةٌ — أبهـــذا أُلقّبُ
حُـلُمٌ ثم ينقضى — وأمانىُّ تكذِبُ
كيف تسمو الى العلا — ابنـةٌ باعَها الأبُ

ثم مستمرة : أبى تاجرْ كما شئتَ — وكيف اردتَ فاحترف
ولـكن لا تَرُم تَمَنِى — ولا فى هـذه الغُرَفِ
فبيعُ الجنسِ فاحشـةٌ — أليسَ كذلكَ اعترفِ
أبى شرفٌ على فقر — ولا فقرٌ الى الشرفِ

مصطفى لنفسه :

ياماَلُ ما فيك من سحرٍ ومن خَطر
لقد نزلتَ بنـا عن رتبةِ البشرِ
تاجرتُ بالجنسِ حتى صارَ محتقرَا
عند الشعوب وما جنسى بمحتقرِ

ذهبتُ بالشركس الآسادِ أعرضهم

عرض الرعاةِ صغارَ الشاءِ والبقرِ

لولاكَ ما بعتُ أطفالى فما كبدى

من الحديد ولا قلبى من الحجرِ

مصطفى يقبل على آمال :

طفلةٌ آمالُ أنتِ أنتِ ما تدرينَ شيًّا

ههنا الدنيا ومُلكٌ لكِ فى الدنيا تهيّا

آمال : خلِّ عنك المُلْكَ والقصرَ ولا تذكر عليًّا

إن ما تصنعُ بى قد بغّضَ الدنيا اليّا

« لنفسها :

ربِّ جنّبنى شبابَ ذا البلد لا يُصبنى منهمو ربِّ أحد

لى أخٌ فى أرضِ مصرٍ باعه والدى لم يخش من بيعِ الولد

رَكِبَ الآفاقَ فرخاً ما لَه من جناحِ الأبِ والأمِّ سَنَدْ

فجعَ القريةَ فيه وسقى أُمَّه الثُكلَ فماتت بالكمد

لستُ أنسى عبراتٍ إثره قد جرَتْ شيَّعنه حتى ابتعد

وهو يُومى بيدٍ من رقةٍ وأبى من غضبٍ يومى بيد

ربِّ ماصارَ الى أينَ انتهى أهو فى الخيلِ لواءٌ أم وتَدْ

يوسف المسجود فى مصر َله أم من الجوع ليوسفٍ سَجَدْ

زكيه : وأينَ بَنُو السلطان لم لا نراهمو

أليسَ له ابنٌ يغتدى ويروح

يرَفُّ الشباب الغضُ من طيلسانه

وينفُخ ريحانُ الصبا ويفوح

شمس : فلا خير فى دارٍ اذا لم يطُف بها

نسيمُ شبابٍ أو شعاعُ جمال

ولا خيرَ فى روضٍ بغيرِ بهارةٍ

ولا خير فى قاعٍ بغيرِ غزالِ

مصطفى : أجل له ابنٌ

شمس : ما اسمُه ؟

مصطفى : محمد العالى النسَبْ

شمس : لعله ابو الذهبْ ؟

زكيه : لله ما أحلى اللقَّب

ففيه رنة الذهب

مصطفى : متبنَّى الأمير والمُتبنَّونَ بهذى البلاد كالأبناءِ

نعتوه لنا فقالوا أميرٌ أريحيٌّ من صفوة الأمراءِ
تُغدقُ الألسُن المديحَ عليه وتفيض الشفاه حُسنَ الثناءِ
مَلِكٌ سابقٌ الى كلِّ فضلٍ نابغ الغرسِ عبقريُّ البناءِ

ثم مستمراً: وأنتِ يا أمَّ محمودَ ما الذى تعلمينا

ام محمود: محمـدٌ ليس برًّا ولا وفيًّا أمينا
بالأمسِ عقَّ أباهُ فكان شرَّ البنينا
واليوم يَشهر حرباً على الأميرِ زبونا
وأما أخوه

زكيه : كيف مَنْ؟ هل له أَخ؟

ام محمود: أجل وهو أيضاً لم يلده أبوه

زكيه : اذن فعليٌّ والدُ الناسِ كلِّهم
وكل شباب الضفّتين بنوه
وكيف الفتى يا أم محمودَ ما اسمه ؟

أم محمود: غـلامُ وضيءُ المفرقينِ جوادُ
رأيتُنَّه مثلى تذكّرن ساعةً رأيناه

شمس : مَنْ؟ ما اسمُ الأميـر

أم محمود : مراد

ام محمود لآمال :

هنـــاكِ آمالُ ابنتي هنَاكِ

آمال . ما ذاكِ يا أمُّ اذكري ما ذاكِ

أم محمود : الحظ يا بنتاه قـــد أعطاكِ

عُشقتِ عِشقاً سوفَ يُروى في السيَرْ

عِشقٌ له في مِصرَ والشرقِ خطَرْ

وعاشـــقٌ عالى السناءِ كالقمرْ

آمال : يا أمَّ محمودَ هـــذيْتِ ما الخبرْ

أم محمود : لقيتُ مراداً أمسِ

آمال : ماذا يهمُّني ؟

أم محمود : عجيبٌ الا يعنِي النســاءَ مرادُ

فتًى عَلَمٌ في مصر في الشرق كُلِّه

نبيلٌ كأبنـــاءِ الملوكِ جوادُ

يُحبُّ عليًا جهـــدَه ويُحبُّه

عليٌّ فبـــين السيدَيْن وِداد

كأني به نال الولايةَ وانتهت
اليه أُمورٌ في غـــدٍ و بلاد
يُحبكِ يا آمالُ حُبًّا مُبرِّحاً
على مثـــله ما انضمَّ قطُّ فؤاد

زكيه : عرفتهُ
آمال : ومَن ؟
زكيه : فتًى أمسِ الى السوقِ حضَر
ذاكَ الخفيفُ كالقنا ةِ والوضيءُ كالقمَر
أتى لنـا أمسِ فما اختصَّ سواكِ بالنظرْ
آمال : عرفتهُ ذاكَ الوَقَاحُ في دعابه الهـذرْ
ذاكَ الذي قلَّبنا أمسِ كتقليبِ الحُصُر
شمس : وكنتِ أنت قبلَة الـ لحظِ وموضعَ الفِكَرْ
أم محمود : وأنتِ كنتِ وزكيةَ الحصيرَ المحتـقر
آمال : أو ذاكَ الذي تقولين يهواني
أم محمود : أجل وهو أرفعَ الناسِ قدرا

هُسّى صه هُسْ انظرا   ها هو ذا قد حضرا

« يدخل مراد بك »

مرادبك عند الباب لنفسه :

ويحَ لى رب ما أرى أمُّ محمـ   ـودَ إلهى وهذه آمالُ

هى فى القصر كيفَ جاءت اليه

كيف وافاهُ مصطفى المختال

أتُراها قد حازها لعلىّ   جبر الجاهِ واحتواها المالُ

كيفَ هل بعدُ فى فؤادِ علىٍّ

موضعٌ يحتوى عليهِ الجمالُ

ربِّ مالى أهابُها كلما قمتُ   ومالى يُردُّنى الإجلالُ

وانا الذئبُ لم تُسلَّط على قلبى

مَهَاةٌ ولم يُسيطِر غزالُ .

ثم لام محمود ومن معها :

سلامٌ امَّ محمودٍ   سلامٌ يا بُنَيّاتى

أم محمود : سلامٌ لك مولاىَ

زكيه : وعلوىُّ التحياتِ

مراد بك ويشير الى آمال : أم محمود ما لها   ما لتلك المحببة

أم محمود : ما لها سيدى

مرادبك: انظرى كيف تبدو مقطِّبه

لقيتنِي فلم تقُم بلقائى مُرحِّبَــــه

مالهَا اليوم مثل عهــــدى بها أمسِ مُغضَبَه

أم محمود : سـيدى قد ظلمتَها إن بنتِي مُهذَّبَه

غـير أنى وجدتُها مُذ بدا الصبح مُتعبَه

شمس : معـذرة يا سيدى لأختىَ المُعذَّبَه

نحنُ النهارَ كلَّه كالسلمِ المقلَّبَه

مرادبك: مصطفى

مصطفى فى ناحية وحده : سـيدى

« لنفسه » ! ذا مراد

ويْحَه ما أضـلَّه فِيمَ جاء

مرادبك : مصطفى هل نسيتَ أنّا التقيْنَا

عِندَ سوقِ الرقيقِ أمسِ مساء

مصطفى : سيدى ما نسيتُ واليومَ نستأ

نِفُ فى حجرةِ الأميرِ اللقاء

مرادبك: والتى اختـرتُ من ظبائك

مصطفى : نرجيها الى أن يرى الأميرُ الظباء

مرادبك: أتُرى ما تزالُ تأبى

مصطفى : أجـل

مرادبك: ويحَكَ هل يملِكُ الرقيقُ الإباء

آمال : سيدى مَنْ عنيْت؟قل لى بمن عَرَّضت

مرادبك: أعـنى المليحـــةَ الحسناء

آمال : ســـيدى إننا حرائرُ ما زلنا

مرادبك: ولـكن غـــداً تصرنَ إماء

آمال : وغَدٌ ســـيدى عليه غطاء

أتُرى عن غدٍ كشفتَ الغطاء

مرادبك: قُمْ مصطفى هذه الحسناء تُعجبُنى

أليس يكفيكَ فيها الف دينار

مصطفى : ألفٌ ؟ قبلتُ

مرادبك: إذن تأتيكَ كاملةً

فاخرج ببنتِك واحملها الى دارى

آمال : أبى . أنت تمضى بِى وتحمِلُنى

كالشاةِ هذا لَعمرى أعظمُ العار

مصطفى : آمال

آمال : قف أنت عبدُ المـال يا أبتى

تُلقى البرىءَ لأجل المالِ فى النار

لا سـيدى لا أبى لا تذكرا ثمناً

فلستُ مخلوقـةً للبائع الشـارى

مصطفى لنفسه :

رباه أعظمُ من وجدى ومن شفقى

على إبنتى اليومَ إعجابى وإكبارى

وأنتَ تعـلمُ والأفعالُ شـاهدةٌ

أن ابنتى حُرَّةٌ من نسـلِ أحرار

يا ألفُ سحقاًو يامالُ أمضِ من سُبُلى

تقطعت منـك أسبابى وأوطـارى

« ثم لآمال :

آمالُ هيِّ اذكرى لى كيف أدفعه

« ثم لنفسه: ما ذا أقولُ فإنى لستُ بالدارى

آمال : أبِى أما نحنُ فى دار الأميرِ على

إنى لجارةُ حُرٍّ مانِع الجارِ

لا أبرحُ القصرَ الا عن مشيئتِه

فحُكمُه هو فىّ النافذ الجارى

مرادبك: ويحَ لى قد رُددتُ أقبَح رَدّ

وأبَتْ أن تُجيبنى الحسناء

« مصطفى: سنرى من يفوز بالبنت يا وغدُ

« لآمال : ومن يقتنيكِ يا حمقاء

« ويخرج مراد بك »

آمال لنفسها :

ما بالُ قلبى بمرادٍ مُذْ تلاقيْنا اشتغل ؟

لعلّنى أحْبَبْتُهُ لا . لا فمالى والرجُل

عساىَ قد همتُ به هذا لعمرىَ الخَبَلْ

خيـالُه فى فـكرتى في كل سـاعةٍ مَثُلْ
مالى أُحِسُّ لاعجا بين الجوانح اشـتعل
إن فُتِـح البابُ يُرى أولَ أنسانٍ دَخَـلْ
أو جىء بالزاد وجــــدتُه. بجـانبى أكل
وإن شربتُ حَضَر المـاء فعـلَّ ونَهـلْ
(قد أخَـذَتْ صورتَه على مشاعرى السُّبُـل)
وحيث سرتُ طاف بى وأينما حللتُ حـلْ

ام محمود تنظر الى الباب وتقول :

أرى الأبوابَ قد فُتِحت وأسمَعُ وقع أقــــدامِ
مصطفى : عــــلىٌّ جاء قُمنَ له بأجــــلالٍ وإعظـامِ

يدخل على بك وفى حاشيته رزق الوكيل . . الاغا مرجان ، بعض الخدم

على بك : أضعنا نهـارَكَ يا مصطفى أطلنا انتظارَكَ لا عن جفا
مصطفى : بباب الأميرِ ولىِّ النِعَمْ يطيبُ الوقوفُ لأوفى الخَدم



على بك :

أضعنا نهارك يا مصطفى أطلنا انتظارك لا عن جفا

علي بك همساً لمصطفى :

يا مصطفى قد بعتني من سنوات ولدا

مصطفى : أجل صبيٌّ كان من أذكى الصغار محتدا

علي بك : ما ارتبتُ فيه ساعةً أن سيكونُ سيدا

مصطفى : عاش أبوه لا أرى أباهُ الا أسدا

علي بك : ولكنه لم يَدُرْ في البلاد ولم يعرف الناس حتى فسَدْ

فسَلَّ الحُسامَ وهزَّ القناةَ وأصبحَ عزريلَ هذا البلدْ

مصطفى : ذاكَ ذنبٌ لم أبعْهُ حنشٌ غيرِيَ باعَه

بئسَ ما باعوكَ يا مولايَ يا شؤمَ البضاعَه

علي بك : وأينَ البنيّات ؟

مصطفى : ها هُنَّ قُمْنَ وقاراً لمولايَ في المجلس

علي بك : تخيَّرَ الحسنُ قبلي فكيف كيف اختياري

« ثم لرزق : يا رزقُ ما أنتَ راءٍ

رزق الوكيل : كذا تكونُ الجواري

ام محمود : بل قل ثلاثُ شموسٍ تنزَّلت في نهارِ

على بك ممازحاً :

من أنتِ يا شرَّ وجهٍ ومن أحلَّكِ داري

ام محمود : أنا يا مولاى حسنى الماشطه أنا فى أمر البنات الواسطه

لنفسها : آه من لى بحياةٍ ثانيه ليتنِي أرجع يومًا غانيه

ليتنِي يا ليتنى يا ليتنِي آه لو ينفع قولى ليتنِي

ام محمود تأخـــــذ يد شمس وتأتى بهـا :

فهذى كاسمِها شمسٌ ولـكن حُسنُها أحسَنْ

على بك: تعـــالَى اللهُ ما أبهى تعـــالَى اللهُ ما أفتَنْ

« ثم ترجع شمس وتأتى بزكيه »

ام محمود : وهــذه زكيه

على بك معرضاً عنها ومشيراً الى آمال :

وهذه الحوريّه ؟

ام محمود : مهـاةٌ فداها الغيدُ من شركسيةٍ

لها ســـيرةٌ عند الملوكِ تدارُ

اذا برزت ودَّ النهـــارُ قميصَها

يُغيرُ به شمسَ الضحى فتغارُ

وإن نهضَتْ للمشى ودّ قوامَها
نساء طوالٌ حولها وقصارُ
لها مَبْسِمٌ عاشَ الخليجُ لأجله
وعاشتْ لآلٍ فى الخليج صغار

على بك: ما اسمُ هذى الفتاةِ
ام محمود: آمالٌ الحسناء
على بك لآمال: آمالُ كيفَ ألفيتِ قصرى
آمال: جنةُ اللهِ يا أميرُ على الأرضِ ولِمَ لا ألستَ سلطانَ مصر
على بك: وهذا الوشىُ والديباجُ ما موقعهُ منكِ؟
وهاتيكَ المصابيحُ من البلوْرِ والسِّلْكِ
وهذا الخشبُ المصنوعُ بالصندلِ والمسكِ
لقد طُفتِ على فارسَ والقوقازِ والتركِ
وأُدخلتِ قصورَ العزِّ والثروة والمُلْكِ
فهل أبصرتِ ما يُشبهُ هذا الصُنعَ أو يحكَى؟

ثم مستمراً : وكل ما أبصرتِ في قصريَ من صُنعِ البَلَدْ
فليس يعلو الصانعَ المصريّ في الذوق أحَدْ

آمال : لا عَجَبٌ مولايَ يا طالما قد بلغَ الفنُّ بمصرَ الكمال

على بك : لكن أرى القوقاز أعلى يدا مَنْ غيرَه يصنعُ هذا الجمال؟

آمال : سيدى

مصطفى همسا :

حاذرى ابنتي قدرى المو قفَ لا يخطر العقوقُ ببالكِ

آمال : لا أبي خلِّني أبُحْ أشكُ بثِّي خذَلَ الصبرُ قلبيَ المتمالكِ

لعلى بك: سيدى

على بك : ما أرى ؟ دموعٌ لآلٍ ذهَبَتْ في الخدودِ شتَّى المسالكْ

مِمَّ تشكينَ يا ابنتي ماوراءَ الدمع ؟

آمال : لا شيءَ

على بك : بنِّي ما هنالكِ

آمال : سيدى غيرُ شأنِنا بك أولى

هذه السوقُ لم تلِقْ بجلالِكَ

تُشترى النفسُ أو تُباع على الأرض ولم يرضَ فى السماء المالك

مصطفى : قلّلِى الهمَّ ياابنتى والتّشكّى

وانظرى الحالَ وافكرى بمآلك

هذه السوقُ نعمةُ الوطن البائس منها

على بك: ونحنُ نعلمُ ذلك

أنا أيضاً مررتُ بالسوقِ يا آما

لُ حالى يا بنتُ من مثل حالِك

قد وقفنا بهذه السوق نبغى دولا من ورائها وممالك

وقديماً كانت سبيلَ المعالى للمماليك أو سبيلَ المهالِك

« مستمراً: لكِ اللهُ يا آمالُ أنتِ كبيرةٌ

وكلٌ كبير النفس سوفَ يسود

فداؤكِ نفسى هذه نفسُ حرةٍ

وهذا إباءٌ ما عليه مزيد

أتيتِ بما لم يأتِ فيما مضى لهم

ملوكٌ على عرشِ الكنانة صِيد

شرونا وباعونا صغاراً وفتيةً

كما بيع سودانٌ بمصرَ عبيد

فما كان منا من رأى الرِّق سُبَّةً

ومن قال عند البيع لستُ أريد

ثم مستمرا : الخطبُ غيرُ عظيمٍ لا تحزنى يا فتاةُ

وكلُّ جرحٍ يُداوى إن عالجته الأُساةُ

آمال : مولاى قالوا رُزقتَ نفساً فضائلُ الصالحينَ فيها

بأىِّ دينٍ تحُوزُ رقَّ وتشترى البنتَ من أبيها

على بك : أبوكِ

آمال : أجلْ والدى

على بك : مصطفى أأنت أبوها

مصطفى : أجلْ سيدى

على بك : فماذا ترى

مصطفى : في يديكَ الفتـــاة
تصرّف لقـد خرجت من يدى

علي بك : دعْ البيعَ يا مصطفى والشراء
وزوّج فتـــاتكَ أو فاردُدَ

مصطفى : بمَنْ ؟

علي بك : بي

مصطفى : إلهى !

علي بك : أجـــل بي أنا

مصطفى : سمعتِ فتـاتى اشكريه احمدى

آمال : عـلامَ أجربته بعدُ ؟ لا سأعلمُ ما صاحبى فى غـد

علي بك : لم تقبلى الرق منذ حينٍ يا لكِ من حـرةٍ نبيله
والآن تخشيْنَ من زواجٍ تعشينَ فى ظلّه ذليلَه
آمال

آمال : مولاى

علي بك : هاكِ قصرى سوسيه بالنُبل والفضيله

ام محمود : تحيـــةٌ للملـكه — من أَمَةٍ فى الملـكه

مصطفى : أُقبِّلْ ســـترَ مولاتى

آمال : — أبى أســـتغفرُ اللّهَ

على بك : وأنتِ الملـكةُ اليـومَ — مُرى وانهَىْ على الدارِ

وحُلّيهـــا حُلُولَ الشمـ — س فى أرجاء آذار

وكونى قُفـلَ أموالى — وأذخارى وأسرارى

ولا يَهمُمْكِ ترَحَالى — ولا تشغَلْكِ أسـفارى

فللمغنِمِ والصيـــدِ — خفوفُ الأسـدِ الضارى

وللرفعــــةِ والمجدِ — سـفار القمـر السـارى

آمال : مولاىَ هاتِها يداً — قـد طوّقتنى خـيرَ يَدْ

هاتِ أضَـعْ فى راحتَيْـــكَ قُبَلاً بـلا عَدَدْ

مصطفى : يا للجـلالِ والَخطَرَ — وبالتوفيق القَـدَرْ

من البشـيرُ بالَخبَرْ — الى البيوتِ والأُسَرْ

حظُ لعمرى قد كَمَلْ — فمن يُبلّغ الجبلْ

وكلّ دارعٍ نَزَلْ — على الشعاب والقُلَلْ

أنا ظفرنا بالأمل

أم محمود : فمن بناتَ الشركسِ ... لِلّهو والتـــأنسِ
زدنَ سرورَ المجلسِ ... برقصكُنَّ الخمسِ

شمس : عُشّـــاقُ ماذا أخّرك ... لِمْ لَمْ تجردْ خنجرك
قم لاعب الغيدَ نَرَكْ ... كيفَ تخوضُ المعترك

عشاق : غـدا يُعقـدُ للوالى ... على الحسنـاءِ آمالِ
جبالَ الشركسِ اختالِى ... بهـذا النسب العـالى
هلمُّوا الفرحَ الأكبَرَ ... هلمُّوا رقصـةَ الخنجر
غـدًا يمتلكُ الوادى ... من الحاضرِ والبادى
فمن طالب أفراحٍ ... ومن شـاهد أعيادِ
هلموا الفرحَ الأكبر ... هلموا رقصـةَ الخنجر
غـدا يبتهجُ العصرُ ... وتُمسى فرحا مصرُ
وتُجلى الشمسُ والبدرُ ... ويزهو بهما القصرُ
هلموا الفرحَ الأكبر ... هلموا رقصـةَ الخنجر

هتاف خارج القصر :

لا زلتَ منصورَ القنـا ... يا أســـد المعـاركِ
أطعمتنَـا ســـقيتَنَا ... يـا ربِّ زِدْ وبـاركِ

علي بك : اسمعوا

رزق : ضجّةٌ

الاغامرجان: أجلْ وابتهالٌ ورجالٌ بسيدى يهتفونا

علي بك : منْ ترى الهاتفونَ رزقُ ويامرجانُ أُخرج فانظرمَن الصاخبونا

الأغا : عادةٌ تلك كلَّ يومِ خميسٍ عندنا ألفُ جائعٍ يطعمونا

علي بك : امضِ فاجعل فى كفِّ كلِّ فقيرٍ

ذهباً يُطعمونَ منه البنينا

نفحةٌ من أميرة النيل مولاتِك

آمال : بل منك سيِّدَ المحسنينا

رزق : مولاى

علي بك : من ؟ أوَ رزقُ ذا ؟

رزق : كم ذا تجودُ وكم تهَبْ

إن الخزانة أصبحتْ بندالكَ كالجحرِ الخربْ

الفضّةُ انفضّتْ وما قد كان من ذهبٍ ذهَبْ

رمضان راحَ بنصفه والنصف راحَ به رجَبْ

على بك: أجل نحنُ أطعمنا الفقيرَ ولم يكُنْ

له في قصور المُترَفينَ طعام

ونحن سقَيْنا ابن السبيلِ ولم يكُن

يُبَلُّ له فوقَ الطريقِ أُوامُ

ونحنُ حضَنَّا اليتيمَ نمسحُ دمعَه

وآواهُ منا محسنونَ كرامُ

ترى الزادَ مبذولا وفي كل ساحةٍ

يتامى قعودٌ حولَهُ وقيام

ونَبنى فركُنٌ للثقافة والحِجا

يُشَادُ وركنٌ للصلاة يُقامُ

ودارٌ يُواسَى البؤسُ فيها ومنزلٌ

تداوى جراحاتٌ به وسَقامُ

ونرفُق بالعجماءِ نأسو جراحها تُقاتُ على ساحاتنا وتنامُ

على بك للأغا مرجان وهو بالباب :

مرجان خير

مرجان : سيدى بشيرُ

على بك: أدخله ليسَ دونَه سُتورُ

«لآمال: أميرتى لا تُراعى بشيرُ من أولادى

آمال لام محمود :

إن مولاىَ شغلهُ بالمهات قد كثرُ.

ام محمود

ام محمود : ملْـكتِى ما تُريدينَ ما الخبرْ

آمال : شمسُ

شمس : لبيك ملْـكتى دونك الشمس والقمر

آمال لزكيه: أختُ

زكيه : أفديك ملـكتى زاد فى شأنك القَدَر

آمال : جُلْنَ فى القصرِ جولةً وتنقّلْنَ فى الحُجَر

نحنُ فى الوُدِّ والصفاءِ كأمسِ الذى غَبَر

عِشْنَ ضيفاً علىَّ فى القصرِ ما امتـــدَّ بى العُمُرْ.

« يخرجن مع مصطفى وعشاق . . ويدخل بشير بك فتنتحى آمال ناحية »

« من الحجرة تشرف من نافذة فيها على ساحة الدار »

على بك: ماذا وراءكَ يا بشـــــير

بشيربك: شأنٌ ســـــأعرضه خطير

على بك: قلْ

بشيربك: لا أقولُ لأنه شـأنٌ يُسَرُّ الى الأمير

على بك يذهب ببشير بك الى ناحية أخرى من الحجرة :

على بك: عجـل وكاشفنى بمـا بَلَغَتْ من الجِدّ الأمور والبَوَّ

بشيربك: مَنْ ؟

على بك: أبو الدهب

بشيربك: يأخـذُ للشرِّ الأُهَبْ

حاز الأقاليمَ اليـــــه وتألَّفَ العرَبْ

والغزُّ فى ركابهِ والشعبُ جذلانُ طَرِبْ

فلنرتحل . فربما جُنَّ فعجّل الطَلَبْ

على بك : أرى الأزْمةَ اشتدتْ وأبطا انفراجُها

بشير بك : فصبراً عسَاها آذنت بذهابِ

علي بك : صبَرت طويلا يا بشيرُ فما جـلا
ولا زلّلَ الصبرُ الجميلُ مُصابى

ولو أنّ رُزئى بالغريب احتملتهُ
ولـكن بأهلى نـكبتِى وعذابى

يُطاردنى فى الأرضِ من دَبَّ فى يدى
ورُبِّىَ فى حجرى وشبَّ ببابى

ومن طلبَ الدنيا ببأسى وسطوتى
فلما حواها فى يديه سَطَا بى

ومَنْ عِشتُ أبنيه وأعمُرُ ركنَه
فصَيَّرَ هدمى شُغْلَه وخرابى

لقد آن أن أسعى وأن أدفعَ الأذى
بشيرْ امض هيِّئْ للرحيلِ ركابى

الى كم قعودى عن عدوى وكيدِه
وهـذا عدوى لا يمَـلُّ طِلابى

سأخرج نحوَ الشامِ فى فَلِّ شيعتِى
فهيِّء جيادِى وادعُ خيرَ صحابى

بشير بك: وماذا وراء الشـــام

على بك : أُشـــدٌ ضَراغِمٌ

أُلـفهموا حـولى لنُصرة غابى

يزيد بهـم جيشى وتقوى عشيرتى

ويشتدُّ ظفرى فى القتالِ ونابى

الآن فرغنا

بشير بك: أجلْ سيدى أأمضى ؟

على بك : بل ابق انتظِرْ يابشيرْ

اذَا أنا قَضَّيتُ هذا المساء بقرب الأميرةِ ماذا يَضير

بشير بك:وليلَ غــدٍ والذى بعــدَه

وان شئتَ فابقَ الليالى الـكثير

ونحنُ فنمضى فنــأتى العريش

ونبــقى بهـا بانتظار الأمــير

نُريغُ الجواسيس طـولَ الطريق

ونهربُ من مُنكرٍ أو نــكير

وتُدركنا أنت مستمهلا

كثير التوارى قليل الظهور

على بك : بل امض بنا سِرْ بنا سِر بنا

فما جلَبَ الخيرَ مثلُ البكور

دثم لآمال : لا تجزعى أميرتى لا بد لى من السفر

لقد دعت حادثة من الحوادث الكُبر

آمال : كيفَ زواجٌ وسفرْ

على بك : مُزاحةٌ من القدَرْ

أغيبُ شهراً واحداً فانتظرى

آمال : سأنتظرْ

على بك : ما أنتِ الا مَلَكٌ نَهَى بقصرى وأَمَرْ

فى ذمةِ اللهِ يا ربة القصرِ

آمال : وأنتَ مولاىَ شُيِّعْتَ بالنصرِ

على بك لرزق: سأصعد يارزقُ نحوَ الصعيد لشغلٍ

رزق : ولِمْ لا صُعودَ القمرْ

« ثم لنفسه : صُعودَ الدخانِ الى ذِروةٍ اذا صارَ فيها امّحى واندثَرْ

علي بك : ومافي الخزانةِ أو في القصور بأمرِ الأميرة فيـه ائتمِرْ

« لآمال: هكذا مصر كلّ يومٍ شئون شغلَت مصر بالشئون الناسَا

وكأن البلاد خيلُ جهادٍ كلّ يوم تُبدّل السُّواسَا

رزق الوكيل لنفسه :

لا رحلةٌ لا سَـــفَرُ هـــذا لعمرىَ الهرَبْ

وما الصعيد يقصدونَ بل الى الشام الطلب

أما أنا فقـــد ملأتُ اليـدَ من أبى الدهب

اذا الزمان بعـــلىٍّ بعـــد حينٍ انقلَبْ

يجـــعلُنى محمـــدٌ على خزائنِ الذهب

علي بك : سلامٌ على قصرِ الإمارة والغِنَى

وايوانِ سلطانى ودَست جـلالى

ووالله ما فارقت مغنَاكَ عن قِلًى

ولا خَطَرت سلوى الأمور ببالى

وأعـلمُ أنى عنكِ لا بـدّ زائلٌ

وأنك مـنى لا محـالةَ خالِ

ولـكن أُمورٌ قد جرَتْ وحوادثٌ
بنقلة دنـــيا أو تبدل حال
فخالفنى من كان عند إشارتى
يصولُ بجاهى أو يعيش بمـالى
وعقَّ الذى ربّيت فى حجرِ نعمتِى
ووطّأتُ اكنافى له وظـلالى
تألّف أصحابى وألّب شيعتِى
علىّ وأغـــرى بالخروج رجالى
لقد جئتُ بابنٍ ليس لى فـكأنمـا
أتيتُ بأفعى من سحيق تـلالِ
تفرّق عنّى النـاسُ الا بطانتِى
ولم يبقَ حولى اليومَ غـيرُ عيالى
سأمضى وما عندى لهم إن تركتهم
سـوى قوتِ أيام وخُـبزِ ليـالِ
وقد زَعمَ الناسُ الغِنى فى خِزانتى
أتى من حـرامٍ تارةً وحـلالِ

وأُقسمُ لم تُحرزْ يمينىَ دِرهماً
من المالِ الا أنفقته شمالى
أسير. أجلْ أمضى نعَمْ فعسى السُرَى
تروحُ بنَجمى أو تجى بهلالِى
فما الدهرُ الا حالةٌ ثم ضدُّها
والا ليالٍ بعدَهنَّ ليالِ
وتلك التى أحبَبْتُ أول وهلةٍ
وأشركتُ فى مُلْكٍ وشيكٍ زوالِ
أعودُ اليها فى المواكبِ ظافراً
وفرقَ بالنصر المؤَزَّرِ حالى
وأرجعُ حُراً تحتىَ النيلُ كلُّهُ
وما من بنى عثمانَ فوقىَ والِ

« يخرج على بك ومعه بشير بك ورزق الوكيل ويبقى مرجان بالباب »

« تسمع ضجة وصرخة من امرأة أمام القصر تقول »

يا ربةَ القصرِ لا مسَّكِ الضرُّ

هل عندكم غوثٌ   هل عنـدكم نصرُ
لحـــرةٍ فى واذْ   ليس به حُــرُّ

آمال : مرجان ويحى هذه صيحةٌ   وامرأةٌ صارخةٌ باكيه
مرجان أُنظر

مرجان : هيَ ذي أقبلَتْ   مُعوِلةً صاخـبةً شاكيَه

« تدخل امرأة مقطوعة الاذن وصارخه »

آمال : ماذا دهى يا خالَه   أنتِ بشرٍّ حالَه
ذا الدمُ من أساله

المرأة : جنودٌ وراء كبيرٍ لهم   من الدين قد جُرِّدوا والخُلُق
أتوا دارنا فمضى نصفهم   أزالَ العفاف ونصفٌ سرق
ومالَ على أذُنى بعضُهم   بسكينهِ طمَعاً فى الحلَقْ

آمال وتدفع الى مرجان صره :
مرجان خذ ناول

مرجان : تعالَىْ خذى

آمال : لا بأس يا خالةُ لا باس

انتظرى عوْدَ علىّ غداً   فنى غدٍ يرتدعُ النـاسُ

« المرأة تأخذ الصرة وتصيح مولولة »

وأُذْنى أينَ ألقاهـا   مضَتْ أهـاً لها آها

ويا مَنْ عندَه أُذنى   أما يـكفيكَ قرطاها

« تسمع ضجة ثم تدخل فتاة مذعورة »

الفتاة : سيدتى

آمال : وأنتِ أيضاً

الفتاة : رحمةً سيدتى

آمال : ما تشتكينَ ؟ ما دهى

الفتاة : الآن ياسيدتى

يُذَبّحونَ إخوتى فى ساحةِ الرُمَيلَةِ

آمال : ويحَ لهم ما ذا جَنَوْا

الفتاة : لا شىء

آمال : لا . لا بُدَّ من داعٍ دعَا

النفسُ لا تُقتَلُ يا أختُ سُـدًى

الفتاة : صدقتِ يا أميرتى الا هـــنا

لا يـنزلُ الرأس بمصرَ جسداً

الا نزولَ المرء فى بيتِ الـكرَى

آمال : تذكّرى قولى لىَ الحق اصدُقى

الفتاة فى حياء : قد سرقَ الأخوة جحشَ الـكتخُدا

سِرْ امضِ مرجَانُ مع الفتاةِ

واشـــــفع لدى الحاكِم للجناةِ

« ينصرف مرجان مع الفتاة »

يدخل أغا آخر ويقول :

ســـيدتى

آمال : وأنتَ ما عندكَ قُلْ

الأغا : ابنُ الأميرِ سيدى مرادُ

آمال : ابنُ الأميرِ . ا هىِّ عَجِّل جىء به

أكلهـــم لسيدى أولادُ

أَدخِلْ مرادًا وائتِنِى بمصطفى

آمال لنفسها : أخافُ ان قلتُ أبِى أن يعرِفا

« يظهر مراد بك »

آمال لنفسها : ويحى وويحٌ لـعلِّى ما أرى

إنى أرى الغدرَ على هذا الفتَى

مراد بك : تحيةً سيدتى أتذكرينَ مَنْ أنا

آمال : كل الذى أعرفه ابنُ الأميرِ ههنا

مرادبك: أميرتى قد خدعوكِ ما علىَّ لى أبا

ما أنا إلا صاحبٌ قدّمه وقرّبا

آمال : يا عجبا

مرادبك: ومَّ يا مالكةَ القلبِ العجبْ

وكلُّ ما فى الأمرِ أن ليسَ علىَّ لى بأبْ

وليس ما يمنعُنِى من أن أُحِبَّ وأُحَبْ

آمال : تُحِبُّ أو تُحَبُّ ؟ قولٌ لا يليقُ بالأدبْ

نسِيتَ للقصرِ ولِى ولأبيكَ ما وَجَبْ

مرادبك: قد عرفناكِ يا أميرتى أمسِ التقينا فى معرضِ الجلابِ

مرادمستمراً :ذهبتُ لأشرى فاشترانى وباعنى

غزالٌ بسهمِ المقلتَيْنِ رمانى

هممْتُ ولكن صاحبُ الصيْدِ ردّنى

وصيّرَ سلطانَ البلادِ مكانى

ولم يدر أنى فوقَ شــأن محمدٍ

وشــأن علىٍّ فى الرياســة شانى

اذا ما حوتنى كِفّةٌ رجح الذى

رمى بِىَ فى مــيزانه فحوانى

وجاء علىٌّ فاشترى

آمال : لستَ صادقاً بنَى بِى أميرٌ للمكارم بان

مرادبك: وطار عن الوادى

وماذا يَعيبهُ ألَمْ تُخلَق العقُبان للطيران

مراد بك يقترب منها :

آمـالُ لو تعرِفينــا آمـالُ لو تعطفينــا

مصطفى بالباب وقد سمع كلامهما لنفسه :

أرى شبحَ الجريمةِ حامَ حـولى

كما ناشَ الغريمَ الأفعوانُ

آمال لمراد بك :

لا تدعُنى باسمى ولـكن نـــادنى باللقبِ

مرادُ هـــذا هَوسٌ قف عند حـدّ الأدبِ

مرادُ ما مقصورتى بمجلسٍ لأجنـــبى

أخــرج

مراد بك : على رِسلِك مولاتى

آمال : دعـــنىَ اذهبِ

مراد بك : بحـقّ الحب مولاتى

آمال : ظلمتَ الحبَّ يا غادر

فمـــا الحبُّ فُضولىٌّ ولا لَصٌّ ولا فاجــر

ولـكن معدنُ النبل وكنز الخُلُق الطاهر

« تنحسر العمامة عن جبهة مراد بك فيظهر أثر جرح قديم على »

« جبينه كان قد أصيب به فى صغره . . . . »

مصطفى بعد أن يرى أثر الجرح وهو بالباب :

الهى هـذا جُرحُه ذا مكانُه

أما كان طولُ الدهرِ للجُرحِ لائما

الهىَ هـذا الجُرح فوق جبينهِ

مَضَتْ سنواتٌ ما محَوْنَ العلائما

لقد بارز الصبيان بالسيف ناشئاً

فصادفَ سيفاً خدَّش الرأسَ صارما

الهى أرى أشياءَ ثَمَّ مهولةً

وأشْفِقُ فيها من عقابك صارما

الهىَ لا تجعله حقا ومُرْ أكُنْ

بما أنا راءٍ من عذابك حالما

كفَى غضباً يا ربُّ حسب عقوبةً

وحاشاكَ لم تظلم ولم تَكُ ظالما

الهىَ كانت هفوتى عن غَوايَةٍ

فتُبتُ فكُن لى فيها اليومَ راحِما

آمال لمصطفى :

وا أبتـــــا

مصطفى : لبيكِ آمالُ

آمالُ : الىَّ يا أبى

مصطفى : أحبِبْ بهذا الصوتِ أحبِبْ بالنــداءِ أحبِب

آمال . أبى

مصطفى : ابنتى أنتِ هنا

آمال : تعالَ قِفْ بجانبى

مصطفى : لا بأس يا ابنتىِ عليــك دونَ ناديكِ دمى

آمال : أبى لقد ديسَ العرينُ فى غيابِ الضيْغَمِ

مصطفى : مَنْ فى مقاصيرِ الأميرِ ما أرى من الفتى ؟

آمال : ذئبٌ بشكل آدمٍ للصيدِ فى الغاب أتى

مصطفى : «مهمهماً»

خنجرى أينَ خنجرى اليومَ منى

يغسلُ العــارَ والدنيّةَ عنى

فعسى أن يُريحنى من صبىٍّ

عابثٍ أو يُريحــه هو منى

هــــو يطغى بسنّه سأريه

أَنى الليثُ ساعدى هو سنّي

آمال : أَبتِ ما تقول ؟ ماذا تلمّستَ ؟

مصطفى : سلاحى

آمال : لا لا أبي لا ترُعنى

آمال لمراد بك :

بربك الا حقنت الدماء

مرادبك: دمائى أنا أم دماء اللعــين.

مصطفى : أتلعننى يا أضــلّ الشباب

أتلعننى يا أعقّ البنــين.

مرادبك: ولِمْ لا ومَا لكَ من حُــرمةٍ

مصطفى : ستعلمُ ما حُرمتى بعد حين.

سأقلعُ عيناً سمَتْ لِلّباةِ

وأقطعُ رجلاً مَشَتْ فى العرين.

آمال : كفى هوساً أيّهذا الأمير

مرادبك: أبى هوَسٌ ملَكتى

آمال : بل جُنونْ

كفى جـرأةً

مرادبك: وعلامَ اجترأتُ ؟

آمال : على امرأةٍ تحفـظ الغائبينْ

مصطفى : مرادُ لك الويلُ من سادرٍ وقاحِ اللسانِ وقاحِ الجبينْ

هتكتَ على الحزنِ محرابَهُ ودُستَ على عبراتِ الحزينْ

ولم تحتشم فى خطاب الشيوخ ولم ترج فيهم وقارَ السنينْ

(ثم لنفسه وهو يبحث عن خنجره :

ربِّ ضلَّلْ يدى وحطِّمْ سلاحى

ربِّ لا تقض أَننى أقتلُ ابنى

مرادبك: سيسبقُ سيفى خنجر الشيخِ

مصطفى : مرحباً

بسيفك من ماضى الحديد يمانى

فهاتِ مرادُ السيفَ هاتِ منيَّتى

أرِح من عذابِ الحادثاتِ جَنانى

مراد بك وقد شهر سيفه :

الٰهىَ مالى قــد غُلبتُ على يدى

وما بالُ سيفى اذ هممتُ عصانى

وما بالُ نفسى بعــد طول جمودها

قــد انفجرت من رحمــةٍ وحنان

عفوتُ فمِلْ ياشيخُ مِلْ عنّىَ انطلق

وعش ناعِماً فى غِبطةٍ وآمان

مصطفى : امــيرىَ ذا رأسى فخــذه بضربةٍ « يخرج مراد بك »

عســانى أرى هُداً الضميرِ عسانى

لنفسه-ويتبع مراد بك: أ أُ نبيهِ ؟لِمْ لا ؟لا. بل استأن مصطفى

أ أذ كُرُ لابنى كيف خِسةُّ شانى

آمال لنفسها: ويحَ لى ويحَ قد قسوتُ عليــه

وتجاوزتُ فى العقو بة حَـــــدّى

ما الذى استوجَبَ الأمــــيرُ

وما أُذنبَ حتى رددتُه شرَّ ردٍّ

ويحَ قلبي يُحبُّه كذبَ القلبُ

وبُعداً لحبِّ الفَ بُعـــــدِ

هو مستهتَرٌ مَشَى على حجراتي

وتناسَى أمانةَ الزوج عنـدى

لا . بل القلبُ شُغْلُه بمرادِ هوشغلي من الحياة وقصدى

ربِّ مالى أحِسُّ نحوَ مرادِ

شَفقاً زائداً ولوعةَ وجـــد

وحناناً كأنه رقة العِشقِ جرى فى دمى ولحمى وجلدى

صـــدقَ الأولون الآن أدرى

كيفَ تجزى القلوبُ وداً بودّ

كيف قلبي تحبُّه كيف تهواهُ

بودى لو تستفيق بودّى

عبثـــاً آمُر الفؤادَ وأنهَى

وسُدًى استردُّ عقلى ورُشدى

كلّ نُصحٍ يُقالُ للقلبِ فى التركِ

وفى سلوةِ الهوَى غيرُ مُجد

لِمَ لا أشتهي مرادًا وأهواهُ

ومالى أُغالبُ الشوق جُهدى

ومرادٌ الذَّ في العينِ لحناً

من سنا الصبح بعد ليلةِ سُهد

مَلَكٌ جاء حجرتى يشرحُ الحبَّ

أفى الحقِّ أن يُجازى بطردِ

لِمَ لَمْ أتخذه فى حادثِ الدهرِ

نصيراً يَرُدُّ عنى التعدى

لِمَ لَمْ أتخذه بعد علىٍّ

ركن دنياىَ أو دعامةَ مجدى

لا وربِّ الحلالِ والحقِّ آمالُ

ارجعى للصوابِ آمال جدّى

أنتِ من أمةٍ تصونُ حِمَى الزوج

وتقضى حقوقَه وتؤدى

ربِّ لا تجعل العَلاقةَ إلا
من سلامٍ اذا التقيْنا وردِّ
ربِّ إن البلاءَ منى قريبٌ
وأرى حُفرةً وأخشى التَرَدِّى
رَبِّ لا تقضِ أن أخون علياً
وأعنّى على الوفاءِ بعهدى
أنا حَيْرى وأنت تهدى الحيارى
كيف أهوى على هوى الزوج عندى

ثم مستمره : لا لا رويدَكِ يا آمالُ لا تَثِبى ؟
على الأميرِ ولا تجزيه طغيانا
واحمى حِمَى الليثِ فى أيام غيبتهِ
إن اللباةَ تحوطُ الغاب أحيانا
هبيه لم يخلع الدنيا عليك ولم
يُلبسكِ تاجاً ولم ينزلك أيوانا
هبيه لم ينفجرْ قبل الزواج ولا
بعد الزواج ولم ينهلّ احسانا

هبيـه سافر فى شأن له جَلَلٍ

يبنى لدولتـه فى الأرض أركانا

أما هو الزوجُ يُرعى حق غيبتهِ

وتجعل الحرّةُ الفُضلى له شـانا

لقـد أقامَكِ فى محرابه مَلَـكا

لا تجعلى الملَكَ المهدىّ شيطانا

« ســـــــتار »

الفصل الثانى

فى قلعة ضاهر العمر صاحب عكا

« فناء قليل الضوء مبنى من الحجر انتشرت المصاطب فى جوانبه »
« يطل من بعض جهاته على الميناء حيث يرسو الاسطول الروسى »
« فى ناحية من فناء الدار بعض الجند يتحدثون . . . . »

أحدالجند : سمعتمْ الرعــد

آخــر : سمعنــا القعقعه

بربكم هــل فى السماءِ مسبعه

أم فى السماءِ وقعــــــةٌ ومعمعه

الأول : كجبـــــــلٍ من الرخامِ انشــقّا

أو كالنحاسِ بالنحاسِ دُقّا

الثانى : والبرقُ لمحــةُ القَبَسْ أو زفرةٌ حَــرّى النفَس

أو كالدمِ القــانى انبجس

شقَّ الظلامَ وخفَق على مُلاءَةِ الأُفُق

كأنه خيطُ الشفَق

حُبيش : ضرغام

ضرغام : ماذا يا حبيش ؟

حبيش : العمَى لك العمَى

البردُ زاد

ضرغام : صَهْ أما في طوبة نحن أما

حبيش : ضرغام انى قد حسدت القوم في جَهنّما

ضرغام : اصعد اليهم إن أردتَ

حبيش : كيفَ ؟

ضرغام : هاكَ سلّما

وانشد حماتى بينهم وطف بها مُسلماً

حبيش للاط: ملاّط

ملاط : لبّيْك حُبيشُ

حبيش : قم أخي لك العطَبْ

ملاط : وما الذى أصنع يا حبيش

حبيش : جئنـــا بحطب

ملاط : من أينَ ؟

حبيش : قم خذ كلما لاقت يداك من خشب

ملاط : كيف أجرُّ الســـاق والبردُ بأطرافي ذهَبْ
كأننى ميْتُ اليهود نُزِعتْ منه الرُكَبْ

حبيش : يا لك برداً قارساً وزمهريراً لاذعاً
لا الصوف فيه واقياً ولا الحريرُ نافعاً

ضرغام : ضرغام ما الصوف ما الحـــريرُ لا لا أعطنا برادعا

حبيش : انظر قفا صاحبنا كأنه بَغلٌ ذبحْ
وانظر أهاتيكَ أنوفٌ فى الوجوه أم بلح
كأن كل رجُلٍ فى أذنيه قـــد جُرح

« تسمع فرقعة »

آخر : صوت ؟

ضرغام : أجل

الأول : ما الصوتُ ؟

ضرغام : تلك فرقعة

الأول : وأين ؟

ضرغام : عند الترك هل من موقعه ؟

« تسمع فرقعة ثانية »

حبيش : وذاك ؟

الأول : مدفعٌ وتلك بُندقَ

الأول : اسمع

ضرغام : وما ذلك ؟

الأول : تلك طقطقه

اقدامُ خيلٍ في الفضاءِ مُطلقه

ملاط : ربى متى ينقضى البلاء

وتنقضى الحربُ والشتاء

حبيش : ربى متى نَنعم بالسلم متى
كم ذا الى كم نحنُ حربٌ وشتا

آخر : كم أنا كالفار شق من خندق لخندق
أصحو على المدفع أو على صفير البندق

حبيش : قل لنا يا خرابُ ماهذه الحالُ متى تنتهى وأينَ المصيرُ ؟
قد سَئمنا القتالَ واشتاقت الزوج الى زوجها وحنّ الصغيرُ
وتركنا وراءنا الدور عزّ القمحُ فيها وقلّ فيها الشعيرُ
و بنو ضاهرٍ شرابهُمُو العُنابُ والشهد قوتهم والفطير

آخر : كل حين يجيء من مصر جيشٌ
ينزل القدس أو يحلُّ الشآما
وأميرٌ يقاتلُ التركَ فى مصر
أتى شاهراً علينا الحُسامَا
نحنُ ما بينَ مصرَ والتركِ ضِعنا
وسئمنا الحياةَ والأياما

غَنَمٌ نحنُ بين راعٍ وذئبٍ

أيُّ هذينِ جاعَ كنا الطعامَا

آخر : وغداً . .

حبيش : ماغدٌ ؟

الأول : بــلاءٌ عظيمٌ

حبيش وآخرون: كيف ما ذاك؟

الأول : اســـألوا ضرغاما

ضرغام : العمَى للرجال ما تُبصرونَ الفُلْكَ فى البحرِ تُشبهُ الأعلاما

آخر : فُلْكُ مَن ؟

ضرغام : فُلْكُ قيصرِ الروس فى البحر تصُبُّ الردَى وترمى الحِماما

قِطعٌ من جهنّم راسياتٌ قعــد الشرُّ حولَهُنَّ وقامَا

وغــداً ينزلُ الجنودُ فيحتلُّون هــذى القلاعَ والآجامَا

ملاط : اذن فأهلاً بغـــــدٍ إن غداً قد اقتربْ

آخر : كيف وماذا فى غــدٍ ؟

ملاط : فيـه كرائمُ السلَبْ

غـداً نفوذ بالســلاحِ والمـلابسِ القُشُبْ

آخر : وما على الصدورِ من قلائدٍ ومِن صُلُب

وعادةُ الروسِ ينوءون بصلبـان الذهَبْ

« يدخل ضاهر العمر ومعه حسين المصرى »

ضاهر : وكيف حالُ الدار

حسين : غابة الأسلْ

أوهى وكر النسر فى رأس الجَبَلْ

ضاهر : وسَهَرُ الدارِ على الضيفِ الأجل

حسين : تحفظـه حفـظ الجفونِ للمُقَلْ

ضاهر : والشام كيف تجد الشام ؟

حسين : نُزُلْ

حسين : يليق فى جنة عدن للرُسُل

أنهارهامن لبنٍ ومن عسل لاشىء الافى ذرا الشام كَمَلْ

إن تخلو من شيء فمن لحم الحمَلْ

ضاهر (ويصفق) :

غضبانُ صعبُ يا عبُوسُ يا نَــكَدْ

صعب وغضبان: لبيــكَ مولاىَ اقترح أشر تجـدْ

ضاهر : امضوا اجمعوا الحِملانَ من سوق البلد

وقدموها للضيوفِ منــذُ غــد

« ينسحب حسين والخادمان »

يدخل خادم ويقول :

مولاىَ

ضاهر : ما ذا زائرٌ آخر ؟

الخادم : لا سيدى بل هــذه زائرة

ضاهر : أمرأةٌ أنثَى؟

الخادم : أجل سيدى

ضاهر : وما اسمُها

الخادم : لم ترض أن تذكره

ضاهر : هل صرحت من أينَ جاءتْ

الخادم : أجل من مصرَ مولاىَ من القاهره

ضاهر : وما سنها ؟

الخادم : غادةٌ فى الصبا تُشبّهُها الزنبق الطيِّبا

وقد لبستْ حُلّةً للسفار

وشالا كوشى الضُحَى مُذَهبا

تريد تقابل ضيفَ الأمير

ضاهر : تريدُ عليا إذن مرحبا

لنفسه : آلهِىَ أنثى لدارى سعَتْ تريدُ عليا فما تطلُبُ

تُرى امرأةٌ هىَ أم حيةٌ تريدُ صدِيقىَ أم عقربُ

« يخرج ثم يعود بشمس »

شمس : سلامٌ لك مولاى

ضاهر : سلامٌ جارة الدار

فما أنت ومَا تبغينَ من ضيفى ومن جارى

شمس : رسولٌ أنا يا مولاىَ قد جئتُ بأخبار

جَري فى مصرِ الدهرُ باحوالٍ وأقدارِ

ضاهر : وما ذلك ؟

شمس : لا أُعطى سوي مولاىَ أسرارى

ضاهر : هىْ تقــدم فتّش السيــده

« للخادم شمس : لا ســيدى يحسُن أنــ تُبعدَ

من لا يَمُد الوحش نحوى يدَه

الخادم ويتقدم نحوها :

ما ضرّ لو زحزحت الغــادةُ فضــلَ الــبرقع

شمس : مالك يا وغــد وللبرقع دعْ عنــك دع

الخادم : عمّى لك يا عمرُ ما ذى غدائرُ لــكنها أفعوانــ قَبَع

وتلك الجفونُ سلاحٌ مضى وسهمٌ أصابَ وسيفٌ قَطَع

وفى الصدر غــدارةٌ ههنا وأخرى الى جانبيْهــا تقع

وهذا القوامُ كرمح الأميرِ اذا اهتزّ فى كفه أو ا

أميرى اأنزعُ منها السلاح « يدخل على بك

على بك بعد أن يسمع : سلاحُ الملاحةِ لا يُنتزَ

« ينسل ضاهر »

على بك لشمس :

أهــلا بشمسٍ بالرسولِ ومرحبــاً

بنسيم مصرَ ونفحــةَ الأحبــابِ

كيف الأحبةُ شمس هاتى خبّرى

قد طــال بُعدى عنهمو وغيــابى

كيف الديارُ وكيف قصرى هل تُرى

تركَ القواصــدُ والصنــائعُ بابى

أتُراهُمو اقدردّهم خدمى وقد منعوا طعامى عنهمو وشرابى

وموائدى يا شمس كيف موائدى

والطاعمون بها وكيف رحابى ؟

شمس : مولاىَ طبْ نفسا فبرّك لم يزل

يجرى وخيرُك فى يدِ الطلاّب

على بك : والناسُ شمس ؟

شمس : مع الأمير قلوبهم لكن سيوفهم مع الكذّاب

العزُّ والأمراء حول ركابهِ

على بك : وكذاك كانوا أمس حول ركابى

والأزهر المعمور ؟

شمس : صادَ محمدٌ فيه الشيوخَ وعاد بالطلَّاب

على بك : والشعبُ ؟

شمس : سالٍ ياأميرُ كعهده قد مالَ عن بابٍ وقام ببابِ

والتركُ قدنصبوه بعدكَ هرّةً يتصيّدون بظفرها والنابِ

على بكٍ : والقصرُ كيف القصرُ كيف صديقتى

وشريكتى فى شدتى ومُصابى ؟

أرأيتِ آمالا ؟ وكيف وجدتِها ؟

شمس : لم نفترق مولاى

على بك : منذُ ذهابى ؟

شمس : عزمت علينا أن نقيمَ بقصرها

وتعطَّفتِ وحَنَتْ على الأتراب

على بك : فوجدتها يا شمس

شمس : خيرَ عقيلةٍ وأجلَّ ربةِ منزلٍ وحجابِ

مَلأَتْ مكانكَ عزّةً ومهابةً

وكَسَتْ حِمَاكَ جلالةَ المحرابِ

سَهِرت على ذكرى الأمير وعهدِه

سَهَرَ اللباةِ على حريمِ الغابِ

لو كنتَ أمسِ ترى رأيتَ أبيةً

غَضْبَى مُحاميةً عن الأحسابِ

على بك : غَضْبَى ؟ وممَّ وما جَرَى ما راعَها ؟

شمس : من سافلٍ مُتهافتٍ دبّابِ

على بك : ما ذاك شمسُ من الوقاحُ

من الذى ؟ نقلَ الخُطَى بمنازل الغيّابِ

شمس لنفسها :

ربّاه ماذا قلت لِمْ خبّرتُه

على بك : قولى أجيبى

شمس لنفسها: ربِّ كيفَ جوابى

شمس لعلى بك :

ذَنَبٌ فلا تجعله شغلك سيدى
إن القذارة شيمةُ الأذنابِ

على بك : من ذاك شمس ؟

شمس : مراد

على بك : ويح له ولى ويحى من الأتباع والأصحاب
أمرادُ يَصنعُ ذاكَ ماذا غرّه بخِزانتى ما غرّه بثيابى
والزوج شمس ؟

شمس : استعصمت فى دينها
ورَمَتْ بزائرِها وراءَ البابِ

على بك لنفسه :

يا نفسُ قد خان من قلّدته ثِقَتِي
وكان حولى لواءَ الصحبِ والآلِ
هذا أبو الدهب استولى على شِيَعى
وحازَ دونىَ جاهى واحتوى مالى

واليوم هـذا مرادٌ نالَ من شرفى

ما لا يَمُرّ لاعـدائى على بال

على بك لشمس :

تعالَىْ نَجُلْ يا شمسُ فى دارِ ضاهرٍ

تعالَىْ نَرَى الجيشَ الحليفَ تعالى

فنحنُ اقتسمنا الحصنَ ثَم عيالُهُ

على كثرةِ اللاجى وثَمّ عيالى

« يدخل حسين من باب ويدخل سعيد من باب آخر »

سعيد : حسين هنا ؟

حسين : من أرى مَنْ سعيد ؟

سعيد : سلامٌ حُسيْنُ

حسين : سلامٌ سعيدْ

سعيد : أأَنتَ هنا لَمْ تزلْ يا أخى تراقبُ فى الشامِ حالَ الطريد؟

حسين : وكيف اقتحمت فِنـاء العرينِ

وجاوزتَ هـذا الحصارِ الشديد؟

سعيد : بمالٍ بذلتُ هنا وهناك وبالمال يُعطى الفتى ما يُريد

حسين : متى جئتَ من مِصرَ ؟

سعيد : هذا الصباح

حسين : ومن كان معك؟

سعيد : بغالُ البريد

حسين : وماذا بمصرَ من الحادثات ؟

وهل جدّ في أرضِ مصرٍ جديد

سعيد : حوادثُ مصرَ على حالِهـــا

وأمسِ القريبُ كأمسِ البعيــد

حسين : وكيفَ محمد ؟

سعيد : خلقتُه كما يشتهي وعلى ما يُريد

قبولٌ يُحرّقُ قلبَ الحسود ودنيا تفيض وشأنٌ يزيد

لقد نزلَ الريفُ في راحتيه وحجّ الى قدميه الصعيــد

ترى الأمراءَ على بابهِ يقومون فيــه قيامَ العبيد

وللفقهـــاءِ على داره صباحَ مساءَ زحامٌ شديد

حسين : اذن قُضىَ الأمرُ مصرٌ لنا

سعيد : أجل ملكُنا اليومَ فيها وطيدْ

حسين : وكُتبي سعيد؟ تجىء الأمير؟

سعيد : أجل وهى موضعُ اعجابه

يُشيرُ بها فى أحاديثهِ ويَنشرُها بينَ أصحابه

ونحنُ كلانا على بالهِ غداً نتلاقى على بابه

ونَطعَم أطيبَ إحسانهِ ونلبَس أسبَغَ أثوابهِ

حسين : وما أتيتَ يا أخى تصنَعُ فى هذا البلد

سعيد : ذلك سرّى يا حُسيْن لا يقالُ لأحد

حسين : حَذارِ أن تقول أو تفعلَ شيئاً يُنتقَدْ

نحن بدارِ ضاهرٍ دارِ العديد والعُدَدْ

الجمع يقظانٌ بها وان ظننتَه رقَد

وكلُّ جاسوسٍ هنا عليه عيْنٌ ورصَدْ

وقد تظُنُّ ضاهراً مبتعداً وما بَعُدْ

وضاهرٌ ليلَ نهارَ فى السلاح والزردْ

قد جعـلَ الشـام هى الغاب وطاف كالأسد

« ثم بعد فكرة سكون »

سعيد : حسين

حسين : ماذا يا سعيد قل سلِ

سعيد : أينَ ترُى أصادفُ الآن على

« يقبل على بك »

حسين : سعيـد أنظر التفت هـذا الأميرُ مقبلا

يمشى الهوينا ويُخالُ الأسـدَ المستمهلا

سعيد : حُسيْنُ ماله انحنى ما بالهُ ترهَّلا

لأمشـيَنَّ نحوَه

حسين : لا يا أخى بل ابق

سعيد : لا

حسين : إياكَ أن تقولَ ما يُغضبه أو تفعـلا

فهو مَهيبٌ هنـا كالليثِ فى جوزِ الفلا

سعيد : لا تخشَ لا أكون إلا محسناً ومُجمـلا

ألم يكُن أمسِ أميرَ البـــلدِ المبجّلا

على بك لسعيد :

من المرء من أينَ من أرضِ مصر ؟

فهذا اللباسُ لبـــاسُ الوطن

سعيد : أجل ملِكى من رعايا كمُو

على بك : ومن مصرَ هذا اللسانُ الحسَنْ

وما اسمُك

سعيد لنفسه : ما همّه اسمى ؟

« لعلى بك: سعيد .

على بك : سعيد تذكرتُ مَنْ أنتَ مَنْ

سعيد لنفسه :

تذكرّنى عَجَبٌ كيفَ ذاكَ ؟

ولم نجتمـــع مرةً فى الزمَنْ

تُراهُ بيَ ارتابَ ظنَّ الظنونَ

تراه لمـــا كلّفونى فَطِن

علي بك : وكيف تركت بمصرَ الأمور

سعيد : عواصفُ حولَ مراسى السفُنْ

وجوُّ الأمور من الحادثاتِ كثيرُ الغيوم كثيرُ الدُجَنْ

علي بك : وكيف تركتَ الأمير الجديدْ ؟

سعيد : سقيم الولاية نكدُ الزمن

علي بك : ولِمْ يا فتى هل تولّى الولىُّ

وخان من الشيعةِ المؤتَمن

سعيد : أجل يا أميرُ ودبَّ الخلافُ

وثارت هنا وهناك الفِتنْ

علي بك : حديثكَ يا صاحبى لا يُساغ

ولا تطمئن اليه الأذن

عساك تبالغ فيما تقول لعلّك تخلق ما لم يكُن

اذن لم يَخُن عهدىَ الأمراء ولم يقلب الترك ظهرَ المِجَنّ

ولم ينس أصحابىَ الفقهاء أيادىَّ عندهمو والمِنَنْ

ولا الشعب ملَّ الأمــير القديم

ولا بالأمير الجــديد افتَتَنْ

بلغتَ المدى أيّهذا الفتى رُويْدَ تأنّ رُويْدَ تأنّ

فما نحن فى فلواتِ الحجازِ ولا نحن فى ربواتِ اليمَن

ولــكن على الشــامِ فوق الطريق

تمرُّ الركابُ بنــا والسفُنْ

وأخبارُ مصرَ وأحوالُها هنا سمَرٌ للقُرَى والمُدُنْ

سعيد : وكتبْ الثقات إلى ســيدى

على بك : وما هى من أرسل الــكتب مَن؟

سعيد : كتابان من عمر الجركسى ومن حسنٍ

على بك : مَنْ ؟ صــديقى حسن ؟

كتابان من مصرَ من صاحبىَّ ؟

سعيد : أجل سيدى

على بك : سوف أغلى الثّمَن

وأينَ الــكتابان ؟

سعيد : خذ سيدى

خذ النعش خذ من يدىّ الـكَفَنْ

« وينقض عليه بخنجره فيقبض على بك على ساعده »

حسين لنفسه: أسفاه على سعيدٍ فما أدرى   الى أين ينتهى أين يُمسِى

نحنُ سيان فى البلاء وأيدِ   طلبَتْ رأسه ستطلبُ رأسى

هو فى قبضةِ الأميرَيْنِ لمْ لا   أتوارى أنسلُّ أنجو بنفسى

« ثم ينسل هاربا »

على بك : كيف ترَى يا معتدى   لقــد وقعتَ فى يدى

يدخل ضاهر ويقول :

اتركه لى يا ســـــيدى

اتركه لى فإنه فى دارى   سطا بضيفى وسطا بجارى

على بك : من؟ ضاهر؟ بالنفسِ أفدى ضاهرًا

أ كنتَ معنا يا أمــيرُ حاضرًا

ضاهر : كنتُ عليك يا صــديقى ساهرا

والآن أذهبُ يا أمــيرُ بصاحبى



خــذ النعش خــذ   من يدىّ الــكفنْ

على بك : أتريدُ تذهبُ بالأثيمِ العادى

ضاهر : لِمْ لا وفى دارى و بين عشيرتى

شهرَ السلاحَ على أمير الوادى

دعنى أُحِلَّ به العقابَ وخلّنى

أمنع حِمَى شرفى وحوضَ ودادى

سعيد فى ضراعة :

مولاى

على بك : ما بكَ قُلْ

سعيد : بمصرَ وحقّها

لا تلق رأسِى فى يدِ الجلادِ

مولاىَ سيفُكَ بى أبرُّ فسُلَّهُ

إن شئت فاقتلنى بسيف بلادى

ضاهر : حَسَنٌ قم انهض يا بنىَّ قمْ انطلق

فلقد طلبت الخيرَ عند جواد

أنا قد وهبتُكَ للأمير وقد عفا

إن الأميرَ بكلِّ فضلٍ بادِ

علي بك : الآن سعيد

سعيد : أميرىَ قلْ

علي بك : تكلّم أبنْ نبِّنى مَنْ أمَرْ

ومن بَذَلَ المالَ بى مُغرياً وكيفَ أتاك جوازُ السفَرْ

تكلّم أبنْ

سعيد : سيدى أعفِنِى فلاخير فى أن يَذيعَ الخبَرْ

علي بك : قل السرَّ لا تُخفه لا تَخَفْ فسرُّك عند صديقِ العُمَرْ

أليسَ محمدٌ المجترى ؟ قل الصدق تأمن به كل شرّ

سعيد : مرادٌ أشار بقتلِ الأميرِ وغيرُ مرادٍ به لم يُشِرِ

علي بك : مرادٌ ؟

سعيد : أجل إنه المعتدى وما أنا إلا سلاحٌ شُهِرْ

« علي بك ملتفتاً بضاهر العمر »

سمعتَ أخِى مايقول الغلام عدوٌّ من الأهل ثانٍ ظَهَرْ

اذا ما بغى الأهـل والأقربونَ
فكيفَ من العالَمِين الحذر

« يخرج الضاهر فيتغيب لحظة ثم يعود فيقول »

ضاهر : أميرىَ

على بك : مَنْ صاحبى ضاهرٌ ؟

ضاهر : هنالك مولايَ ضيفٌ حَضَر

على بك : ومَنْ

ضاهر : قائد الروس فى عكّةٍ أيدخل مولايَ أم ينتظر

على بك : أميرٌ على البحرِ ماذا يقود؟

ضاهر : بوارجَ للروسِ مثلَ الجُزُر

على بك : وماذاترَى أنتَ مُرنى أشِرْ

ضاهر : تلاقيه فهو جليلُ الخطَر

على بك : ألاقيه ؟

ضاهر : لِمْ لا وما فى اللقاءِ اذا ما سمحتَ به من ضَرَر

« يصفق الشيخ ضاهر فيدخل القائد الرومى محاطا برجال
« الشيخ » ويخرج ضاهر وسعيد ورجال الشيخ »

القائد : التحياتُ للأميرِ

على بك : تحياتٌ وأهلا بسيدى الربّان

ادنُ خُذْ مجلساً بجنبي تفضّل

القائد : عِشتَ مولايَ مُولِيَ الاحسانِ

نحنُ جارانِ يا أميرُ ولكن نحنُ فى منزلَيْنِ يختلفانِ

أنتَ كالليثِ رابضا فى الصحارى

وأنا الحوتُ فى العباب مكانى

على بك : غيرَ أنى مُقيّد بخطوبٍ حبستْ همتى وردّت عنانى

القائد : لا تضقْ يا أميرُ ذلك أسطولى جلالَ البحار نورَ الموانى

سُفُنُ القيصر العظيم قصورٌ لك إن شئتَ زُيِّنت ومغانٍ

على بك : أشكُر القائدَ النبيلَ وان لم يخف ما فى خطابه من معانٍ

مستمراً :

أنا فى دارِ ضاهر وهى دارى مع أعوانه وهم أعوانى

أنا فى دارِ مسلمٍ عربىٍّ مانعِ الجارِ مكرمِ الضيفانِ

أنا فى الدارِ أولٌ مُنذُ هاجرتُ اليها وصاحبُ الدارِ ثانِ

القائد : سيدى ألقِ ضاهراً وتقلَّد نجدة القيصرِ العظيم الشان

لا تروَمَنَّ بالعصا مُلكَ مصرٍ واطلب الملكَ بالحسامِ اليمانى

كيف تبغى سريرَ مصرَ بشيخٍ

بدويٍّ بصارمٍ وحصانِ

على بك : بكريمٍ من الرجالِ أبيٍّ عبقريِّ الوفاء والاحسانِ

فَزِنْ القولَ يا نبيلُ وأمسكْ لا تنَلْ ذكرَ صاحبى بهوانِ

القائد : ما أهنتُ الصديق مولايَ لكن

قلتُ أحسنْ تخيُّرَ الأعوانِ

على بك : ليْسَت النجدةُ البوارجَ كالأعلام

تطوى اللِّجاجَ كالطوفان

ليْسَت النجدةُ الحديدَ ولا النارَ

بأيدِ المُشاةِ والفرسانِ

ليْسَتْ النجدةُ اصطفافَ العوالى

والتفافَ العروشِ والتيجانِ

ما النجدةُ الحق الاّ صاحبٌ دمُه
عند البلاءِ دمى أو مالُه مالى

أخٌ قديمٌ كعِرق التِبرِ خِلّتُهُ
لم أسْقَ من وُدّه الا بسلسالِ

وعِرضُه عندىَ الغالى وان بعُدَتْ
به الديارُ وعِرضِى عنده الغالى

القائد : كصاحبِ الدار ؟

على بك : لم لا ضاهرٌ رجلٌ من المروءةِ لا عُطلٌ ولا خالِ

« تقبل شمس »

القائد : والمُلكُ مولاى مُلك الضفّتيْن

على بك : أجل

المُلكُ يا قائد الأسطولِ آمالى

القائد : إذن فتلك سفينُ القيصر اضطجعت
على فراسِخَ من عكا وأميـال

فاركب أميرىَ فيها وائت مصرَ غداً
فى الدارعينَ وفى الفولاذِ والمالِ

لعلّنا ندخــلُ الوادى معاً وعسَى
على لوائك يغزو الـتركَ أبطــالى

على بك : نمضى فنفتتحُ مصراً ثم ندخلهــا
أمنــيّةُ الدهرِ تأتى لى وتسعى لى
غداً احــلُّ بأعدائى العقابَ على
ما استمرؤا أمسِ من قهرى واذلالى

« يدخل ضاهر »

على بك لنفسه :

رباهُ ماذا يقول المسلمون غــداً
إن خنتُ قومى وأعمامى وأخوالى
يُقــالُ فى مشرقِ الدنيا ومغربهــا
فعلتُ فَعلَةَ نذل وأبنِ أنذالِ

« للقائد: أجل سَموْتُ لملكِ النيلِ أطلُبُه
بهمّتِى وبإقدامى وأفعــــــــالى
لا أستعينُ على الأهل الغريبَ ولا
أرمى الذئابَ على غابى وأشــبالى

القائد : مولاى تلك معانٍ تحتها كرمٌ

ليْسَتْ لمن طلب الدنيا بأشغالِ

على بك : بُعداً وسُحقاً لعلياءِ الأمورِ اذا

لم التمْسها بخُلقٍ فاضلٍ عالِ

الموتُ فى ثمرٍ ترقى لتجنيهُ

فى سُلَّمٍ من تعابينٍ وأصلالِ

القائد : إذن أميرىَ فالأسطولُ منتظرى

والبحر يسألُ عن شأنِ الأميرَالِ

على بك بصوت منخفض :

اذهب فما أنتَ دارٍ ماغدٌ فعسى

يُغيّرُ الله من حالٍ الى حال

« ينصرف القائد ويشيعه ضاهر وأتباعه »

على بك لنفسه :

رباهُ ما بالى أبعدَ محمدٍ وعقوقه أشقَى بكيدِ مرادِ

أنا صخرةُ الوادى يُراوحُ عاصفٌ

ركنى ويبكُرُ عاصفٌ فيغادى

حَمَلَتْ كواهِلِيَ الخطوبَ كما حَوَتْ

هوجَ الرياحِ مناكبُ الأطوادِ

ولقد تركتُ ورائيَ الوادى وما

بالضفّتَيْنِ فتىً يحوطُ الوادى

لم يبقَ فى مصرٍ ومصرُ عزيزةٌ

من قائلٍ هذى البلادُ بلادى

الذئبُ يرتَعُ فى الديارِ ويرتعى

والشعبُ يسرحُ كالقطيعِ الهادى

نقَلَ الزمانُ زمامَه ورمى به من فاتحٍ باغٍ لآخَرَ عادى

ويحِي فما وقف الرجالُ كموقفى

من ظلم أحبابٍ وكيد أعادى

فهناكَ فى فسطاط مصرَ محمدٌ

جَشِعُ العداوة لا يَمَلُّ طرادى

حتى حوى بيدٍ مواكبَ دولتى

وحوى بأخرى طارفى وتلادى

مالى محمدٌ الأثيمُ يكيدُ لى
ومرادٌ الباغى يدوس وسادى
عجبُ العجائب مصرُ سارت ضيعةً
لمحمـد ورفاقهِ الأوغادِ
ذئبٌ أتى الأتراكُ فى الوادى به
خلعـوا عليـــه إمارةَ الآسادِ
وبقيتُ فى أرضِ الشـآم مُشرّداً
حيرانَ ليس لحيرتى من هاد
قد نمتُ عن حقى وتاركُ حقّه
لاقى الخسارِ على النـــدامةِ غادِ
مالى قعـــدتُ وتركيا مقهورةٌ
والروسُ حـولى يخطبون ودادى
أسـطولهم بيـدى وقائدهم معى
سأصيبُ جُندى عنـده وَعتـادى

لا يا عليُّ رويدَ فى الغضبِ اتئـد
ما تلك خُطّةُ حكمةٍ ورشـــــاد
ماذا جنتْ مصرٌ عليّ وأهلُهـا
إن الجناةَ عليّ هُمْ أولادى
ما ضرّ مصرُ وضرّنى إن لم تكُن
مهدى وكان بغيرها ميلادى
بلدٌ رعانى فى الصبا وأحلّنى بعد الشبابِ مراتبَ القواد
ودخلتهُ عبداً كيوسفَ مشترى
فاعتضتُ تيجانا عن الأصفادِ
لا يا عليُّ اسمع نُهـاكَ ولا تُصِخ
لوساوسِ الشهواتِ والاحـقاد
لا ترِم بالروسِ الشدادِ جماعـةً
ضعفاءَ مهذولينَ غـير شـدادِ
لا تنس موضع مصر واذكر مالها
من أنعمٍ سلفتْ وبيض أيادِ

لا تنسَ ما ذا أَلِفتْ من سامرٍ

لك فى الشبابِ وهيأت من نادِ

شمس : أميرى

على بك : شمس سمعتِ النجىَّ ؟

شمس : أجل سيدى وعلمتُ الخبَرْ

على بك : فما ذا ترينَ ؟

شمس : أرى الخطبُ جلَّ وأنتَ عليه جليلُ الصَّبر

وما زدتُ علماً بحلم الأميرِ ولا خُلقه الأريحىّ العطرِ

دع الروسَ لا تنتصِرْ بالغريب وبالله بالأقر بينَ انتصِرْ

على بك : وأينَ همو شمس ؟

شمس : هم فى يديْك وتحتَ لوائِك مُر قل أشِرْ

أصخ لسجاياكَ فالخيرُ فيك

على بك : وليسَ يُقابَلُ الا بشَرّ

ابو الدهب الغِرُّ بالترك لاذَ

وفى مصر فى غدِها ما افتكَرْ

وكم قد غزاهم على رايتي وكم من سلاحٍ عليهم شَهَرْ
وكنا خطَطْنا انتشـال البلاد
وانقاذها من عُتوّ التَـــــتر
وأن نستقلّ بسـلطانِها ونهضها فى النواحى الأُخَرْ
شمس : تركتُ ورأىَ ما تبتغِى من العون والمـدد المنتظر
على بك : جموعٌ ؟
شمس : هناك على الصالحيةِ جمعٌ كسربْ الجراد انتشَرْ
وينتظرون ركاب الأمير كمثلِ انتظارِ النباتِ المَطَر
« يعود ضاهر »
ضاهر : ضـاهرٌ عند ظن مولاى فيـه
على بك : مَنْ ؟ صديقى أخى حليفىَ ضاهر ؟
ضاهر : قد سمعتُ الذى جرَى ولستُ الفضلَ والنُبلَ والسجايا الطواهر
عزوتى سـيدى ونفسى ومالى
فى الذى شئتَ ما الذى أنتَ آمر
نحنُ ألفانِ يا أميرى على الأرضِ
وألفانِ فى مُتونِ الضوامِرْ

ومعى مدفعانِ من سلَبِ التركِ

وتلٌّ من السيوفِ البواترِ

والمواشى كثيرةٌ فى ضياعى

والطريقُ الطويلُ بالخير عامر

كلُّ شيء كما تُحبُّ مُهيّاً فمتى الظّعنُ سيدى مُرْ نسافر

على بك : غداً الظعنُ يا أخى قُم تأهَب

إنما الغُنْمُ للخفيفِ المبادر

ضاهر اسمع هناك فى مصرَ

ضاهر : ماذا ؟

على بك : أُهبةٌ يا أخى وجيشٌ مناصِر

من صحابى المُشردينَ وأتباعى ومن كل حافظ العهد ذاكر

إن جمعنا إليه جيشكَ سِرْنا وأخذنا محمداً أخذَ قادر

وانتزعنا البلادَ من قبضة

الترك ومن كل فاسق الحكم سادر

آن أن نُنقذ البلادَ فماذا أنت راءِ

ضاهر : هلمَّ والجيشُ حاضر

على بك : حاضرٌ ؟ فلنَسِرْ إذن

الضاهر : بعيون الله فى حفظهِ بأيمن طائرْ

ثم يصيح : عَرَبَ الشامِ تلكَ مصرُ دعتكم

جماعة من عرب الشام : ألفَ لبّيْكِ مصرُ لبّيْكَ ضاهر

« ســـــتار »

الفصل الثالث

« الوقت بعد الغروب — فى سرادق محمد بك ابو الدهب بالصالحية »
« حيث دارت رحى الحرب بينه وبين على بك ، فى الوجه محمد بك »
« راقد على سرير وعثمان الجاسوس التركى يكبس قدميه ، في أحد »
« جوانب السرادق جماعة من البكوات يتحدثون ويلعبون الشطرنج »
« فى الجانب الآخر خادمان مصريان مشغولان بتنظيف ملابس »
« محمد بك ابو الدهب »

أحد الخادمين للآخر :

ولدى زعزوع أنصِتْ أصغ للحقِّ المبين
نحنُ فى أيام جهلٍ وبلاء وجُنون
نحنُ فوضى من مراحِ الشاةِ للخدْر المصون
فى زبونٍ من حروب الأهل فى إثْر زبون
ورؤوسٌ فى الصوانى نُزِعَتْ منها العيون
وعزيزٌ هان ما كان ببالٍ أن يهون
أصبحَ الناسُ على الوادى بلا دنيا ودين
حركاتٌ كالسكونْ وحياة كالمَنونْ

وقفَ الحـاكمُ من كل رخيـصٍ وثمين
مثـلَ ما قد وقفَ الدائن من مالِ المَدينْ
وشريكِ الشعبِ فى كدّ يديهْ والجبـينْ
وشريكا فى الأوانى | وشريكا فى الصحون

الآخر : يا شيخُ هـذا بلدٌ | أحمـالُه بلا عـدَدْ
من سُلَفٍ وكُلَفٍ | ومن نكوسٍ وفِرد
وكلّ يومٍ مطرٌ | من الضرائب الجُدد
وتلدُ الفردةُ ما | لا يعلمون من ولد
على الحمار فردةٌ | وفردةٌ على الوتد
وفردةٌ على الاجـام | وهو حبلٌ من مَسَد
وفردةٌ على برادع | الحصير واللبـــــد

مستمراً : ياشيخُ لى نعجـةٌ غرامى | وكل همّى كانا إليهـا
الأول : ما صنعت ما الذى دهاها
الثانى : | قد ضربوا فردةً عليهـا
فضقتُ ذرعاً بذاك حتى | ذبحتُ شاتى وطفيلتيهْـا

الأول : ما قد دهاك دهانى ومثلُ شأنِكِ شانى
أتَيْتُ بطنطا لشغلى وكان تحتى أتانى
خرجتُ منها مع الليل مُسبلاً طيلسانى
فمرّ فوق طريقى من لا أرى ويرانى
أَغاً عليه سلاحٌ فى صورةِ الشيطانِ
فصاحَ بى قِفْ ترجّل لقد سرقتَ أتانى

الثانى : وما جَرى ؟

الأول : قلتُ له بل الأتان لى أنا
فقال ذاك أمسِ إلا أَنها اليوم لنا
بل هى لى وحدى فدء بها لى وامضِ من هنا
ثم رمانى بيدٍ كأنها كفّ النمِرْ
ثم اعتلى ظهرَ الأتان

الثانى : ثم ؟

لأول : لكن لم يَسِرْ
حتى سمعتُ هدةً وصرخةً من النَهَرْ

وأبصَرتْ عينى وراء الليل آية القدَرْ
حمـارتى تجـبّرتْ مثل تجـبّر البشر
فأغرقت راكبها وغرقت على الأثَرْ

مميش بك لعثمان بك : فى تهكم واستهزاء

لقد رأينـاكَ ضحَى اليومِ تجِى من الجَبَلْ
فوق حصـــــان كالغزال رقةً وكالحَمَلْ

عثمان بك فى غضب :

كذبتمو قد كان تحتى سيدُ الخيل بَطَلْ
لا حَمَلٌ ولا غزال هو لـكن الوعِـل
كالأفُعوان فى الشـعابِ والشهاب فى القُلَلْ

مميش بك : وقد تمايلتَ على الســرج تمايلَ الثَملْ
وقد تدلّى بطنكَ الضخمُ عليهوانسدَلَ
كأنك المَحملُ والحِصانُ تحتـــك الجَمَلْ

عثمان بك : مميش عبت حصانى ولم تدع لى اعتبـاراً
هذا جزاؤكَ عندى خذ هاكَ منى عياراً

« ويطلق عليه غدارته »

محمدبك : عثمان

عثمان بك: ملكي

محمدبك : لا تُرَعْ قد كان من حِزبِ على

كفيتنيه فتولَّ اليومَ ما كان يلى

هيّوا احملوا جُثّته هيوا اذهبوا بالرجلِ

« يخرج به البكوات والخدم »

« عثمان الجاسوس وهو يكبس قدم محمد بك »

عثمان لنفسه : خدمتُه والله ما خدمتُ الا دُولتى

كبسته والله ما كبّستُ الا حاجتى

خادمُ تركيا أنا ما أنا خادمُ الغبى

كم من حريرٍ في نواحى صُدرتى وذهبِ

هاتيك ألقابى وتلك شرطى ورُتَبِى

مما بلغتُ فى رضا الله وطاعةِ النبى

وتحت أعلام السلا طين السيوفِ القُضُب

أقمتُ فى مصر سنينَ أنزوى وأختبى

وأنا حيناً ماهنٌ وأنا أحيانا صبى
أرمى أخاً على أخٍ وأصدم أبنا بأب
لم آلُ حكمَ الغزُّ جُهد الباحث المنقب

« يفيق محمد بك ويتمطى ويتثاءب »

محمد بك : ما ذا يقولونَ عنا فى مصرَ يا عثمان
عثمان : عهد الأمير رخاء وغبطةٌ وأمان
فمصرُ راضٍ بنوها والناسُ فيها لسانُ
يقول إن أميرى يحبه السلطانُ
محمد بك : والأمراء أمِنهم مخالفٌ غضبانُ
عثمان : الأمراء جميعا ببابكم أعوان
لا يذكرونَ عليا وبيته مذ بانوا
فما لغيرك صيتٌ ولا لغيرِك شانُ
محمد بك : صدقت هم حيث كان الجديدُ فى مصرَ كانوا

« يقبل جندى ويقول لمحمد بك »

مولاى عندى أخبارُ سوءٍ وقفْنَ فى فِىَّ فهو حائر

محمدبك : أنت رسولٌ ؟

الجندى : أجل

محمدبك : فخبرٌ بينْ الامَ القتالُ صائرْ ؟

الرُّسلُ لا يُسألونَ عَما بعد المناعى ولا البشائر

الجندى : مولاىَ

محمدبك : ماذا عجلْ تكلّم

الجندى : دارتْ على جيشِنَا الدوائرْ

محمدبك : وما الذى كان من علىٍّ ؟

الجندى : أُعينَ فى أمرهِ بضاهِرْ

محمدبك : وفاز ؟

الجندى : فى أول التلاقىِ بقوةِ الشامِ والعشائر

محمدبك : إذن هلكنا ؟

جندى آخر وهو داخل : لا ياأميرى بل أنتَ ناجٍ بل أنتَ ظافِر

محمدبك : من قال ذا ؟

الجندى : شاهدا عِيانِ

محمد بك : من أينَ ممّن ؟

الجندى : من العساكر

« يدخل الجنديان ويتبعهما خدم يحملون صنية كبيرة »

الجندى : ها هما

محمد بك : مرحباً

الجنديان: عوافٍ حياةٌ

محمد بك . أوْ جزَا

الجنديان. نحنُ موجزات المقالا

هُزمَ الجيشُ صبحَ أمسِ ولكن

عادَ نجمُ العدوّ ظهراً فمالا

فحملنا عليه حملةَ صدقٍ وحوينا الرجال والأموالا

محمد بك لاحدهما :

زِدْ أبنْ

الجندى . ما قصّرَ الجيشانِ ضرباً وطِعانا

« يقبل البكوات »

محمد بك للجندى :

وابو مَيْلَةَ (١) ؟

الجندى : غشّى ساحةَ الحربِ دُخانَا

أحد البكوات :

قد رأينا من هنا ظلمتَه واللمعانا

وسمعنا من هنا رجَتَه والدَوَرانا

محمدبك : اختراعى مدفعى قد ظهر اليوم وبانا

ومُرادٌ؟

الجندى : كان كالليثِ لحاظًا وجنانا

شدّ بالزأرةِ والوثبةِ فى الحربِ قوانا

كلما انهار حِصَانٌ تحته احتلَّ حِصانا

محمدبك : ثم ؟

الجندى : رمى بنفسِهِ على علىٍّ فى الرحَى

محمدبك : ثم ؟

الجندى : تجالدَ فلم يدعه حتى جُرحا

(١) مدفع من صنع واختراع محمد بك ابو الدهب

محمد بك : أين هو الآن

الجندى : على أثارنا على سريرٍ لينٍّ مُظلَّلِ

يخـدمه النـاسُ ويُعْنونَ به

كالولد المهـــــد المدلّل

محمد بك همساً لعثمان :

عثمانُ هـذا عَلَوىٌّ لا تنسَ رأسَه غداً

محمد بك للجندى :

وما على الصينيه من تحفٍ سنيه

تلك رؤوس شيعتيّ . ومن سعى لنصرتِه . من بيتِهِ وعَزوتِهِ

« يأخذ الجيش فى العودة من ميدان القتـال فى أزياء شتى بين »
« الضجيج المتواصل من الطبل والزمر ، وتقبل طائفة فيمر »
« بخيمـة محمد بك ، وكلما طافت به جمـاعة خرج اليهم البيك فنثر »
« عليهم الذهب وهو يقول »

محمد بك : خذوا خذوا خذوا خذوا إنى أنا أبو الدهبْ

خذوا املأوا أيديكم من الشعاعِ المنسكبْ

الجماعة : سلمت يا أبا الدهب وعشتَ تُعطى وتهَب

أخجل جودك السحُبُ

الجيش والنظارة يهتفون معاً :

بنى الوادى قفوا حيّوا اللواء　　وغطوا الأرضَ ورداً والسماء

رَجَوْتُم من وراءِ الحربِ نصْراً

وهـذا النصرُ بينَ يديْه جاء

هو الرمزُ المُقدسُ فاتبعوه　　وموتوا فى القتالِ له فداء

عليه ضجةُ الفرحِ ابتهاجًا　　بطلعتهِ الحبيبةِ واحتفاء

كأن وراء هيكلهِ خيـالا

من الشهداءِ والجرحَى تراءى .

***

على قـدم　　حيُّوا العَلَمْ

حيُّوا الشـعار　　حيّوا الفخـار

رمزُ الوطن　　مجـدُ الديارْ

أحد القواد القادمين :

سـيدى فُزت بالمُنى　　هو ذا الجيش قد رجَعْ

وهَبَ الله نصَرُه　　للمـريدينَ والتَّبَع

وعلىٌّ وجيشــه شبعَتْ منهما الضبُعْ

ليس يُدرى أماتَ أم فى يدِ الجُندِ قد وقع

محمد بك : أجل أرى الجيش اقترب نشوانَ بالغَ الأرَب

يرسل رنّةَ الطرَبْ

فريق من الجند يتغنون من خارج الخيمة :

سلمتَ يا أبا الدهبْ وعشتَ تُعطى وتَهَبْ

أخجل جودُكَ السُحُبْ

جماعة أخرى من الجيش والنظارة يهتفون

يا عسكرَ النيلِ بالسلامَه يا عسكرَ النيلِ بالسلامَه

ظفِرتَ بالنصرِ كلَّ حينٍ وفُزتَ بالعــزِّ والــكرامه

فى يومِ سلمٍ وفى قتالٍ وفى رحيــلٍ وفى إقامه

فما شــهِدتَ القتالَ إلاّ رفعتَ للضفّتيْنِ هامه

أبليتُموا قادةً وجُــنداً بوركَ فى الجنــدِ والزعامَه

قد شيّــد الله مجدَ مصرٍ والجيشُ من مجدِها الدعامه

اعة آخرون :

هلمَّ خيلَ الوطنِ تخـايلى فى الرسنِ
اليوم أنتِ مطلقه حمحمةً وطقطقه

ـ بك ابو الدهب وينثر الدهب :

خذوا خذوا خذوا خذوا إنى أنا أبو الدهب
خـذوا املأوا أيديكم من الشعاع المنسكبْ

الجماعة : سلمت يا أبا الدهب وعشتَ تعطى وتَهَبْ
أخجل جـــــودُك السحب

مد البكوات :

ملِـكى

محمدبك : ما جرى

الأول : تأمّلْ أسـيرٌ

سيدى من عواهل الشامِ كهْلُ

محمدبك : من يسوقُ الرجالُ ضاهرٌ الشـامىُّ

عانٍ عليــــــهِ قيدٌ وغُلٌّ

« يدخل ضاهر يحوطه الجند »

محمد بك : ويحهم ذاك ضاهرُ ما لجندى
قد غَوَوْا مالقادة الجند ضلّوا
كثر الجندُ فى الحَديد عليه
وهو كالليثِ فى الحَديد يُدِلّ

« ويتقدم منه :

ما أرى ضاهرٌ يُساقُ أسيرًا
أنتَ من ذَاكَ يا أميرُ أجلُّ
أيها الجندُ ضاهرُ صار لى ضيفًا
فخلوا سبيلَ ضيفىَ خلُّوا
من فلسطينَ أنتَ ضاهرٌ أم من أرز لبنان أم لك الشام أصلُ

ضاهر . كل هذا هناك مولاىَ أصل
واحدٌ يجمعُ الرجالَ وفصلُ
عَرَبٌ كلُّنا ومنطقنا الفُصحى
وآباؤنا نِزارٌ وذُهلُ

محمد بك للجند :

ما صنعتم بسيفه ؟

احدالجند: هو عندى

محمد بك : هـاته فهو مُحرَمٌ لا يَحِلُّ

« ويناوله السيف :

خذ تقلدو والله ليس لهذا الظفر الا يدَ الهصُور محَلٌّ

أنتَ خلٌّ للبائسينَ وفىٌّ وهو أيضاً لهم صديقٌ وخِلٌّ

ضاهر . لستُ أنسىَ لسيدى الفضلَ ماعشتُ

محمد بك . وهل فى رعايةِ الحق فضـــل

قــد رددْنَا على السموءلِ سيفاً

كانَ دونَ الوفاء أمس ِ يُسَلُّ

ضاهر . كيف أمشى فى الشامِ أوفى سواها

أَلبسُ العزَّ حــينَ جارى يَذِلُّ

ذاك سـيفى فأينَ اكرامُ ضيفى

مالىَ اليوم غـير ضيفىَ شغـلُ

محمد بك : مَنْ علىٌّ ؟

ضاهر : أجل ومن كعلىٍّ ملكٌ ماله على الأرض مثلُ

سيدى قيلَ فى خــــلالكَ برٌّ

ليس يُحصَى وفى سـجاياكَ نُبْلُ

قد تركتُ الأميرَ فى شدةِ الـكربِ وغادرتُ جمعنا وهو فَلٌّ

ما الذى أنتَ صـــانعٌ بعلىٍّ ؟

محمد بك : غايةُ الخيرِ فهو للخيرِ أهـــلُ

هو فى قصرِهِ كأمسِ المفـدّى

بينَ أولاده الأميرُ الأجـــلُّ

ضاهر : أسرونى ولو بقِيتُ طليقاً

محمد بك : ما الذى كنتَ صانعاً

ضاهر : كنتَ تبلو

كيف أبنى اللواءَ حولَ حليفى

وأرمُّ الصفوفَ إذ تضمحِلُّ

محمد بك . بل ستبقى بمصر ضيفاً علينا

مصرُ دارٌ للأكرمينَ وأهل

ضاهر : ورجالى

محمد بك : سيلحقونك فيها لك عندى وللعشيرة نُزْلُ

ضاهر لنفسه :

ذلك الغـدرُ والمماليك فيهم

من قديم الزمانِ غـدرٌ وخَتْلٌ

« يشير محمد بك الى جماعة من رجاله فيخرجون بضاهر »

« يقبل مراد بك فى جماعة من الجند »

محمد بك: ما أرى ؟ ما ترونَ ؟

أحد الحاضرين : هذا مرادُ

محمد بك : هو ذا جرّ ذيلَه إدْلالا

مراد بك: التحياتُ للأمـيرِ

محمد بك : مـرادٌ مرحباً مرحبا تعالَ تعالا

مراد بك: ألفَ بشرى مولاى

محمد بك : أهلا وسهلا أدنُ منّى أعانق الرئبالا

« يعانقه »

مرادبك : قد بلغتَ الآمالَ

محمدبك : لم لا وما علقتُ الا بسيفِكَ الآمالا

كيف كان القتالُ ؟ أينَ ؟ تركتَ الجيش

مرادبك : خلفى مُظفراً مختالا

بعد حينٍ يَمُرُّ من ههنا الجيشُ على سيدى رِعالا رعالا

محمدبك : وعلىٌّ ؟

مرادبك: تركتُه فى يدِ الأسينَ قد ناءَ بالجراح ثقالا

بعد حينٍ يأتى به الجُندُ محمولا مُسجًّى اذا استطاعَ انتقالا

« جماعة من الجند يتغنون خارج السرادق »

سلمت يا أبا الدهَبْ وعشتَ تُعطى وتَهَبْ

أخجلَ جودُكَ السُّحُبْ

« يخرج محمد بك فى جماعته لتحيتهم »

« فى هذه الاثناء يتقدم مصطفى اليسرجى جريحا من مراد بك زاحفا على الارض »

مرادبك: يا لعجائب الحياة ما أرى هذا اليسرجى

مصطفى اليسرجى : اليسرجى مصطفى

مرادبك: أنتَ الذى برزتَ لى من ساعةٍ

مصطفى : أجل لألقىَ من حُسامِك الرَدى

مرادبك: لقد جُرحتَ من يدى لِمْ لَمْ تمُتْ

مصطفى : إنى أُحِسُّ أجلى الآن دنا

مولاىَ لا تقطع حديثى وانتظِرْ

عجائبُ الحياةِ فوقَ ما ترَى

مرادبك: وهل عجائبُ الحياةِ غيرَ ما يجرى هنا الآن ؟

مصطفى : أجل وما جرَى

مرادبك: فمُتْ إذنْ وأعفِنى

مصطفى : لا بل أقِمْ

واسمع فقد يُنجيك ما أروى هنا

مرادبك : سرٌّ ؟

مصطفى : أجلْ وقد ينالُك الأذى

من أن أموت أنا والسرُّ معًا

مرادبك: إذن فقم إبقَ تأخرّ ساعةً قل مالديْكَ ثم مُت كيف تشا

مصطفى : أهكذا ربّاك جافٍ خَشِنٌ   من المماليكِ مُضيَّعُ الوفَا
ليتك عِشتَ راعياًفى وطنٍ   مُهذّبِ الفتيةِ صالح النَشَا

مرادبك : دَعْ الفضولَ واحترس يا مصطفى
أنتَ غبىٌ لستَ تدرى من أنا
أما كفاك أمسِ أن أخزَّتِنى   أنا وقدّمتَ علياً فاشترى

مصطفى : أنت تُحبُّها ؟

مرادبك: أجـل

مصطفى : أنت ؟

مرادبك: أجل

مصطفى : حَذارِ يا مرادُ من هذا الهوَى

مراد بك مضطربا :
ولِمْ ؟ وما آمالُ ؟ أَهْيَ من دمِى ؟ أم هى لحمى

مصطفى : هى والله هُمَا

مرادبك: أختى ؟

مصطفى : أجل أختك

مرادبك: يالى ولها   من هول ما كنت عليه مُقدما

مصطفى : مرادُ أنتَ فى صـعيدٍ واحـدٍ
ضربتَ بالسيفِ المُربِّى والأَبَا

مرادبك: ومن أبوها وأبى أنت؟

مصطفى : أجل أنا الذى باعَ الفتاةَ والفتَى
أنا الشقىُّ بائعُ ابنيه

مرادبك: أبى ما بعتنا الا لندركَ الغِنَى

مصطفى : مرادُ أدركنِي

مرادبك: فداكَ يا أبى
رُوحى وإن قلّت لك الروحُ فدَى

مصطفى : انظر مرادُ أنا فى النزعِ وما يُغنى المُفدُّون اذا النزعُ أتى
سُقتُ لك الرقَّ وسقتَ الموتَ لى
والرقُّ والموتُ على حَـدٍ سَوا

مرادبك: أعفُ أبى عنى أتعفو يا أبى ؟

مصطفى : القـلبُ عنك وعن السيفِ عفَا
بل اعفُ أنتَ يا مراد عن أبٍ
باعَكَ طفلاً كبديعة الدُمَى

مارحِمَ الدمعَ بعينْيكَ ولا   رقَّ لذلك البُكى ولا رَثَى

مرادبك: وآ اســـــفى وآ اندمى   أبي عليـك هل غُمِي

أفق أبي تكلَّم

مصطفى : مرادُ لا يقوى فَمِى

« ويموت مصطفى »

مرادبك: ماتَ انتهَى ربٌّ ارحمِ

« مراد بك يلقى عليه عباءته ويركع باكياً »

تدخل آمال فيلمحها مراد بك ويقول لنفسه :

آمال اختيا   أجل أجلْ هيا

لأ كفينّهـــا   تلك الضواريا

آمال لنفسها :

ماله مضطرباً يرمقُنِى   بالرضا حيناً وحيناً بالغضَبْ

مابه ؟

مرادبك: آمال

آمال :   مهلا سيدى   ادعُنى حينَ تُنادى باللقبْ

مرادبك: اسمعي آمالُ أختي

آمال لنفسها : أخْتُه ؟

رب من أينَ متى هذا النسَبْ

ثم لمراد بك :

كيفَ من نبّاكَ

مرادبك: نبّاني أبي أنّنَا يا أختُ من امٍ وأبْ

آمال : وأبي؟ أينَ أبي؟

مرادبك: أين مضى ؟ هو هـذا جُثّةً

آمال : مات أبي

مرادبك: احملي الجُثّةَ يا أختُ معي هيّ نحجُبْها هلمَّ نحجُبِ

آمال بعد أن تقف أمام الجثة وتتأملها :

حنـانيكَ ربِّي أبي رمةٌ يمُرُّ عليها الترابُ الخَشِنْ

أبي كيفَ صرتَ وراء الـتراب

الى جسـدٍ بالبـلَي مرتَهنْ

أبي ما لأذنِكْ قد أبطأَتْ وكنتَ الىَّ سريعَ الأذُنْ

ومابالُ حظى َمنك الصدود   وكان نصيبى اللقاء الحسَنْ

وأين يدٌ سمحةٌ طالما   مسحتَ بها عبراتِ الهتُن

أحقٌ أبى دهمتْكَ المنونْ

أجل وجَرَتْ فيك كبرى السُنَنْ

ذهبتَ كما ذهبَ الأولون   قتيلَ الحياةِ جريحَ الزَّمَنْ

مرادُ أخى

مرادبك: أختُ لا تحزنى   فماذا يَرُدُّ البكا والحَزَنْ

آمال : أحقٌ أخى انه قد قضى   وأنا فقدنا الذرا والرُكُنْ

قضَى فى معاركَ لم يجنِها

غريبَ الترابِ غريبَ الوطَنْ

ثم مخاطبة الجثة :

تمنّيت أنى أقيكَ الردَى   بنفسى ومن يدفعُ الموتَ مَنْ

وأجعل غسلَك ماء الشُئونِ

وأصنعُ من هُدبِ عينى الكفن

واختطُّ بين حنايا الضلوعِ   صيوانًا ولحداً لهذا البدَنْ

جُعلتُ الفدا لكَ مما دهاكَ وممَّنْ رماكَ وممَّن طعَنْ
وليتَ جراحُك بي يا أبي

مرادبك: رويدَكِ أختُ أقلي الشجن
ولا تُكثِري حسرات الصديق
ولا تُشمِتِي الكاشحَ المضطغِنْ

آمال : وكيفَ مرادُ وهذا أبوكَ لقًى في الترابِ كأن لم يكن

« يخرج مراد بك وآمال بالجثة »

« يؤتى بعلى بك مجروحاً محمولا على سرير من جريد فيوضع فى ناحية من الساحة »

على بك لنفسه :

ويحي تفرّقَ عسكري وخيامي
وطوَى الزمانُ وريْبُه أعلامي
أحتالُ والأحداثُ تُفسِدُ حيلتي
وأرومُ والأيامُ دون مرامي
لما طوَتْ مُلكَ الكنانةِ راحتي
لم يكفِني فطلبتُ مُلكَ الشام

صيّرتُ حربَ الترك وجهَ سياستِى

حــتى اقتنيتُ عــداوة الأقوامِ

وكفرتُ أحسانَ الذينَ خــدَمْتهُم

حــتى تجرّأ خادمى وغــلامِى

فى الصالحيةِ مالَ صرحُ مطامعى

وكذاك ركنُ بنايةِ الأوهام

النصرُ غابَ وكان طاف برايتِى

حيناً وحام على شباةِ حسامِى

وحُمِلت فى سُرُرِ الجريدِ ببلدةٍ

وَطئتْ جواهرَ عرشِها أقدامى

قد عشتُ بالدنيا العريضةِ حالماً

حتى انتبهتُ فلم أجد أحــلامى

دنيا أردتُ من العروش حُطَامَها

جعلَتْ سرير القشّ كلّ حُطامى

بالأمس جلّلَتْ الترابَ مواكبى

واليــومَ لا خلفى ولا قدامى

اليومُ أرسفُ فى دمى وجراحتى

وغـداً أجـرُّ منيّتِى وحمامِى

أنا قد جعلتُ الغزُّ مهبطَ نعمتى

وخصَّصْتُهم بمنازلِ الاكرامِ

فلُدغتُ من صِلَّيْنِ منهم عقّنِي

هذا وذاكَ أضاعَ حقَّ زمامى

وتتـــابَعَ الأمراءُ فى أثَرَيْهما

يستمرؤونَ عداوتى وخصامى

يقبل محمد بك ابو الدهب فى حاشيته :

محمد بك ابو الدهب :

يا ويحَ لى ماذا أرى هـذا أبى وسـيدى

سـيعلمُ المُغرى به كيفَ عقـابى فى غدِ

ويتظاهر بالاسف ويتقدم لملاقاة الجريح :

محمد بك ابو الدهب :

يا أسفا على عليّ يا أسفَا　　على أبي وسيدى ومَوئلى

يا أسفا على الكريم المُفضِلِ

أحد البكوات همساً :

ماذا يقولُ ؟ سيّدُه　　شَلَّتْ يده شلَّت يدُه

على بك لمحمد بك :

محمد اسمعْ　　مرادُ غادرْ

اقض عليه　　وأنتَ قادرْ

محمدبك : لا بل تعيشُ سيدى　　و بيديكَ تقتُلُه

محمدبك : سيدى انسَ اليوم وافكر فى غدٍ

على بك :　　ليسَ للمغلوبِ غيرَ الذلّ غَدْ

محمدبك : بل غدًا تبرأ من جُرحكْ

على بك:　　لا　قلّما قام من الجُرحِ الأسَدْ

أحد الحاضرين همساً لآخر :

الذئبُ جرّبَ فى المُربى ظُفرَه فأصابَه

لا تحوِ دارك أرقما حتى تُحَطِّمَ نابَه

على بك لمحمد بك :

محمد اطلب لى قليل ماءِ إنّى أحسُّ حُرقةَ الظّماءِ

محمد بك : مولاى لا باسُ فداؤك النـاسُ

محمد بك لعثمان ويناوله حقاً :

عثمانُ جئْ بالشرابِ أُغِشــهُ بالعُنابِ

على بك : عجلْ وأطفِئْ لهيبى أسرع وخَفّفْ عـذابى

« يذهب عثمان ثم يعود بالماء »

على بك لمحمد بك ويتأمل الكأس :

أغريتَ فى الصبحِ بى عقوراً ما أنا من جُرحهِ بصاح

والآن أرسلتَ كلبَ سوءٍ يدُسُّ لى السُّمَّ فى القراحِ

وهكذا تَجرحُ الأفاعى وتُفرغُ السُّمَّ فى الجراحِ

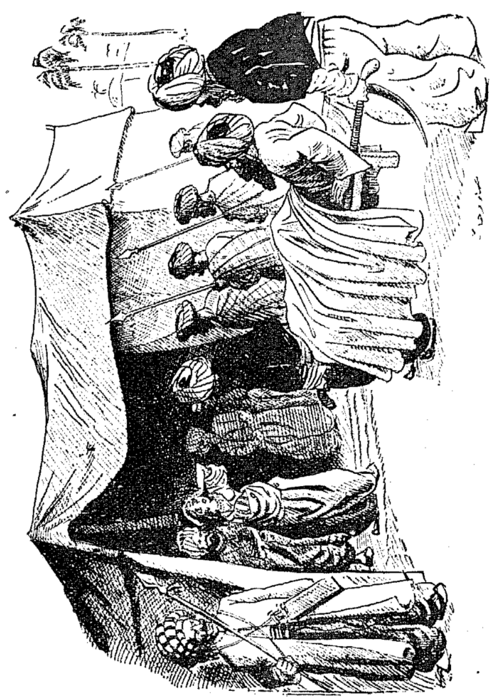
على بك لعثمان :

عثمانُ ما دسَسْتَ لى فى الكاسِ

عُشبَ القِفارِ أم تُرابَ الماسِ

السُّمُّ أحيانا طبيبٌ آسِ

« ويشرب »



وحُملتُ فى سُرر الجريد ببلدة وطئتْ جواهرَ عرشّها أقدامى

محمد بك لعلى بك :

أبى وأمـيرى كفى سـوء ظنٍّ

على بك : محمدُ نَلْ كلَّ ما شئتَ منّي

ومالى أَلومُكَ والشُّمُّ فنّي

أخذتَ الخيانةَ والغـــدرَ عنّي

« محمد بك يبتعد فى حاشيته فيختلط بالامراء الاخرين »

على بك وقد لمح آمال ومراد بك قادمين :

أرى ويحَ لى ماذا أرى ؟

توالَتْ جراحاتى وطالَ عـذابى

مرادٌ وآمالٌ . عـدوّى وزوجتى

فيا زمنى هل من جـديدِ مُصابِ

يُعـــذبُنى يا رب أنى أراهما

قد اختلطا من جَيئةٍ وذهـابِ

إذن هى تهوى النذلَ وهو يُحبُّها .

إذن ليسَ ما خُبرتُه بكذابِ

إذن فمرادٌ لم يَثِبْ بىَ وحدَه

ولم يقتحم سترى ويَسطُ ببابى

ولكن أعارته الخبيثةُ نابها وما فى ذراها من نقيع لُعابِ

أجلْ هذمَا عُشِّى معًا وتعاونا

على ثَلمِ محرابى وهتْكِ حجابى

آمال لنفسها :

الٰهى أعنْ زوجى و بُلَّ جراحَه

فما بالُه مستوفزاً لعتابى

رمانى بعيْنٍ قُلِّبتْ عن كراهةٍ

وعن نظراتٍ كالشِرارِ غضابِ

تُرى ظنَّ بى سوءًا تُرَى ارتابَ فى أخى

ففكَّرَ فى جرمى وكيفَ عقابى

له العُذرُ فى حالٍ أضاعَتْ صوابَه

فانى أنا الأُخرى أضعتُ صوابى

وتتقدم من على بك :

سيدى مولاى

على بك : مَنْ ؟ أنتِ ؟

آمال : أجل

على بك : أعزبى عَنّي خـليني أعزُبى
الأقاويلُ إذن صادقةٌ الرواياتُ إذن لم تَكذِب

آمال : ما أذاعوا سيدى ما نقلوا ؟

على بك : خبّرونى امرأتى تعبَثُ بى

آمال : مع مَنْ أعبثُ مَعْ هـذا الفتَى ؟
مع شـقيقى وابنِ أمى وأبى

على بك لمراد بك :

مرادُ

مرادبك: مولاىَ

على بك : اعزُبِ لا بل تعالَ اقتربِ

مرادبك : أبى

على بك : سؤالٌ يا فتَى أصغِ الىَّ أجِبِ
مرادُ كنتَ لاترَى غيرى فما غرَّكَ بى

أنتَ الذى اشتريتهُ　　بفضتِى وذهبى
ولم اقصّر معه　　عن واجب المؤدّب

مرادبك : مولاىَ خلِّنى إلى　　ضميرىَ المُعذّب
أعفُ فأنتَ أهلهُ　　هبْ لى جرائمى هب

على بك : مرادُ

مرادبك : مُرْ

على بك : أوصيك خيراً　　بالملاكِ الطيِّبِ
أمَا تراها أصبحتْ　　من غير زوجٍ وأبِ

ثم مستمراً : مرادُ بنىّ أصِخْ أصْغِ لى　　تعلَّم من الذاهبين استفدْ

مرادبك : تكلم أبى هاتِ قل سيدى　　وبيّن كذا بك سُبْلَ الرشَدْ

على بك : بناء المماليكِ واهى الاساس　　وسلطانُهم مُضمحلٌ العَمَدْ

وضيعتُهم بعد طولِ الآباءِ　　عوى الذئب فيها وصاح الاسد
اذا فَسَدَ الخُلقُ فى أمةٍ　　فقل كلٌّ شىء لهم قدفَسَدَ
وصاحبُكم ذهبَتْ نفسهُ　　فكلٌّ عنايتهِ بالجَسَدْ
يحبُّ النساءَ وَيهوى الطعام　　ويبنى القصورَ ويُغنى الولد
بفضل التعاونِ سُدنا البلادَ　　ولولا تعاوُننا لم نَسدْ

اذا قام بانٍ الى غايةٍ ... تعثر بالهادم المجتهد
وأُولعَ بالعُصبةِ العاملينَ ... رجالٌ كسالى مُنوَ بالحَسَد
فلم يَرَ واحدُهم همةً ... وفضلا لآخرَ الاحقَد
يميناً مرادُ لما فى البلادِ ... سوَاكَ يليقُ لحكمِ البلد
يَلُمُّ المماليكَ من فرقةٍ ... ويوقظُ من حزمِهم مارَقدْ
ويُرجعُ للطاعةِ المارقينَ ... ويكسرُ من شرَّةِ المستبد
فثِبْ بالغبيّ غَداً ثِبْ به ... وقم أنتَ فاحم الحمى بعد غَدْ

« ويغمى عليه »

مراديك : ويحَ للمجدِ حلّ بالماجـدِ المو
تُ وأخنَى على الكريمِ الحِمامُ
رحمتاهُ له مضى وتولىّ ... واستردت جمالَها الأيامُ
آمال : مات لا يا مرادُ قل هو حيٌّ
قل أخى تلك ضُجعةٌ ومنامُ
فرحى يا عليُّ ما أنتَ راءٍ ... مأتمٌ بين ناظريْكَ يقامُ
فرحى مثلُ يومِ نحرٍ عليه ... من دمِ البر لحةٌ وابتسامُ
ضحّتْ الحادثاتُ فيه بكبشٍ
فُجعَ الشرقُ فيه والاسلام

قدأُصبنا من العيونِ كلانا　　أدركتنى وأدركتكَ السهامُ

أحد البكوات لآخر:

أرأيتُمْ أسمعتُمْ جرأةً　　تلك ياويحَ مرادٍ ويحَ لهْ

ما له استهتَر فى موقفهِ　　ومضى يفعلُ فعلَ السَفِلَه

انظروا فهو عليها مُقبلٌ　　وهى بالسمع اليه مُقبله

تركا المقتولَ لم يكترثا　　لدمٍ من حولهِ قد جلَّلَه

أتُرى يطمع أن يخلُفَه　　وهى هل تطلبُ زوجًا بدلَه

آمال وتلتفت حولها:

مرادُ أخى

مرادبك:　　لبيْك آمالُ

آمال:　　مالَنَا رمتْنَا عيونُ القومِ من كلِّ جانبٍ

وإنى لثكلى مرَّتَيْنِ وما دَرَوْا

تولّى أبى عنىِّ ولم يبق صاحبى

مرادبك: كذاكَ فضولُ الناس شُغلٌ بحاضرٍ

كما قد شغلناهم وشُغلٌ بغائبِ

ومن ألسُنٍ تجرى بسوءٍ وهَمِّها

فوائدُ عند الغير أو فى مصائبِ

آمال : صدقتَ مرادُ انظر تأمل فضولَهم

لقد رمقونا بالعيون الشواغبِ

يَرَوْنَ عجيباً أننا ههنا معًا

وأنك تمشى يا أميرُ بجانبى

احد البكوات يتقدم :

مرادُ من الحسناء

مرادبك : ما أنتَ ما الذى

يهمُّك من أمرِ الحِسان الكواعبِ

« ثم لآمال :

أأبصرتِ يا أختُ الفضولىّ

البك لنفسه : أختُه عجيبٌ فلم نعلَم له من أقاربِ

« لمراد بك وأينَ تُرَى كانت ومن ذا أتى بها ؟

روايةُ غاوٍ أو مقالةُ كاذبِ

« مراد بك يهم ويلطمه بيده لطمه شديده »

آمال لمراد بك :

ترفَّق أخى سامحهُ

البك لنفسه : تدعوه يا أخى اذن لم يكُن فيما رواه بلاعبِ

مرادبك: تعلّم إذن أن الفضولَ وقاحــــــةٌ
وأن عقابي عنك ليسَ بعازبِ
البك : وأنتَ تعلّم أن سيفي منيّةٌ وغدارتي محشوّةٌ بالمعاطبِ
مرادبك: وقوسُك
البك : قوسي ليسَ يُخطئُ سهمها
مرادبك: ورمحُكَ
البك : مثلُ الافعوانِ المواثبِ
مرادبك: وقلبُكَ إني لا أرى القلبَ حاضراً على أنه أمضى سلاحِ المحاربِ
وإلا فذا صدري فضَع فيه ما تشا
وســدد إليه ماضياتِ المضــاربِ
البك : وكيف اجترائي سيدي وابنَ سيدي
معاذاً أياديـــــكم معاذ المواهبِ
مرادبك : إذنْ خلِّ شــأنينَا ولا تشتغلْ بنا
وطِرْ في فضاءِ الأرضِ ذاتِ المناكبِ
آمال : مرادُ أخي
مرادبك: آمالُ هذا محمدٌ
يــلاحظنا في الجمعِ لحظَ المراقب

ولا بدّ من إنبائه بالذى جرَى

آمال : وما ضرّ سِرٌ قابلهُ كلّه خاطب

محمد بك يقترب ويقول :

مراد أرى شَغَبًا واسمع ضجةً

بُنَىّ أهـــذا موضعٌ للتصاخب

ونحنُ على موتٍ وحولَ جِنــازةٍ

وفى مأتمٍ فخمٍ وشيكِ المواكبِ

مراد .

مرادبك : أميرى

محمدبك : تلك واللهِ ريبةٌ

مرادبك: تفضّل أميرى واستمع ثم عاتبِ

محمدبك : أمَا هذه عرُسِ الكبير فما أتى بها ههنا بين ازدحامِ المناكبِ

مرادبك: بلى يا أميرى وهى أختىَ

محمدبك : أختهُ حنانيْكَ ربّ تلك احدى العجائبِ

مرادبك : أجل سيدى أختى اجتمعنا من النوَى

على قـدَرٍ من صنعـةِ اللهِ غالبِ

ولم ندر قبــــلَ اليوم أنا قرابةٌ
وأنا التقينْــا فى كريم المنــاصبِ

محمدبك : ومن قال للصنوينِ هــذا

مرادبك: أبوهما

محمدبك : وما هو مَنْ ؟

مرادبك: بعضُ التجار الجوالبِ

محمدبك : وأينَ فأدعــوه فأعلى محــلَّه
وارفعهُ وابنَيْهِ فوقَ الكواكبِ

مرادبك: تعيشُ وتبــقى مات

محمدبك : مات أبوكما

مرادبك: أجلْ هو ذا يَدمِى وراءَ العصائبِ

محمدبك : جريحٌ ؟

مرادبك: أجل لكن قضَى من جراحِه

محمدبك : قتيلٌ ؟

مرادبك: أجــل ثاوٍ وراءَ السباسبِ

محمدبك : وما تصنعانِ الآن

مرادبك: ما أنتَ آمِرٌ

محمدبك: هنــا لكَ حراسِي وثَمَّ ركائبي

فخذها الى الفُسطاط حتى تجى بها

الى قصرِها محفوفةً بالرغائبِ

وبعد غدٍ تجرى على القصرِ نعمتِى

ويأتيه برِّى كالغيوثِ السواكبِ

آمال وهى منصرفة :

وَداعاً أبى

محمدبك: صــبراً جميــلا أميرتى

ولا تفعلى فعل البواكىِ النوادبِ

آمال : عفا اللهُ عنه كان شيخًا مصلّيًا

محبٌّ اليتامى راغباً فى المثاوب

لقــد طلب الدنيا بمصرٍ فنالَها

فولَّى الى الأُخرى وجوهَ المطالبِ

« ســــــتار »

نظرات تحليلية فى الرواية

تمهيـــــد

تفضلت علينا جريدة البلاغ الغراء بهذه الـكلمة من النقد الشارح لفصول الرواية المحلل لشخصيات ابطالها البارزين مدبجة بيراع ناقد الجريدة الفنى

فآثرنا ضمها إلى الـكتاب لتكون المرشد الأمين للقراء فيما يشكل عليهم من مواقف الرواية وصفات ابطالها وهى

١

« على بك الـكبير » أو « دولة المماليك » هى الرواية التمثيليـة الشعرية الرابعة التى يقدمها أمـير الشعراء احمد شوقى بك للمسرح المصرى وقد أخرجتها فرقة السيدة فاطمة رشـدى هذا الاسبوع على مسرح الـكورسال . وقد عرض فيها شوقى بك لعهد المماليك فى مصر ولدولتهم التى شـادوها على ضفتى النيل أو — على الأصح — لفترة من هذا العهد تتناول سقوط سلطان على بك الـكبير وقيام محمد بك ابو الدهب عليه وفوزه بالحـكم من بعده

وهذا العهد الذى عرض له الشاعر و بسطه فى روايته ملىء بشتى الحوادث التى يجد المؤلف المسرحى فى طياتها مواضيع صالحة للكتابة وللتأليف المسرحى والميدان لا يزال بكراً من هـذه الناحية على أنه مفعم مكتظ بمـا يستطيع المؤلف الموهوب أن يخلق منه مختلف المسرحيات القوية و ينتزع من جنباته ما يشاء ممـا دارت به دورة الزمن فى تلك الايام من الاحداث وما شهدته أرض مصر فى هاتيك الليالى من صروف القـدر وما جرى تحت سمائها من العظائم والأمور وما حوته بطون الـكتب من حوادث تلك العهود فيصوغ كل هذا فى ضروب من المشاهد المسرحية العامرة بأقوى المواقف وملؤها قوة وحياة تزخران فى جوانبها

عهد المماليك

وليس كعهد المماليك فى تاريخ مصر عهد تتالت حوادثه وتتابعت فى مثل لمح من البرق خاطف فهم كل يوم فى شأن ، ولهم كل يوم دولة وسلطان، وكأنهم البحر بين مده وجزره ما يعلو الا ليهبط وما يهبط الا ليعلو واصحاب السطوة والنفوذ بينهم يتنازعون و يتقاسمون اسباب

الملك والجاه . والحرب دائرة الرحى حيناً فى الجهر وأحياناً فى الخفاء ولـكنها ما تضع أوزارها أو تخف اثقالها الا لتسلم البلاد يوماً لهذا و يوماً لذاك ، والمغلوب يكيد للغالب ، والغالب يخشى دسائس المغلوب ، والقتال سجال . وما يرتفع رأس الا ريثما تستأصله أيدى الطامعين فتحل غيره فى حيث كان من سموات المجد والحكم واسباب النفوذ والقوة ، وسرعان ما تدور عجلة الزمن ويخلق الثوب الجديد فينتزع و يخلى مكانه للظافر المنتصر

وهكذا كان هـذا العهد مثاراً للفتن ، ميداناً لضروب شتى من الخصومات تغذيها شهوة الملك وتؤججها الغايات والاغراض ، وإنا لنحاول ان نجوس فى نواحيه من خلال هـذه الرواية وعلى ضوء ما عرضه المؤلف فيها من جنباته المختلفات ، ونحن فى ذلك انما نلخص هذه المسرحية الجديدة أكثر مما نلم بهذا العهد مؤرخين

تجارة الرقيق

كانت مصر فى ذلك العهد سوقاً رائجة للرقيق تباع فيها العبيد والاماء وتشترى يقلبون « كتقليب الحصر » ولقد فاضت جنباتها

بالارقاء الذين كانوا يلقون العيش الرغيد. ويتأنق سادتهم فى زينتهم وبهرجهم حتى تغلبوا دونهم على البلد وأصبحت الدولة «دولة المماليك» !! وكانت تجارة رابحة حتى لبيع الأب ابنه وفتاته فى سبيل بدرة من المال وحفنة من الذهب ، وتطالعنا فى ثنايا القصة شخصية مصطفى اليسرجى الجلاب تاجر الرقيق وانها لتمثل ناحية من نواحى ذلك العهد اتم تمثيل . فهذا والد يبيع ابنه ، ثم يعرض للبيع فتاته ويهبها لمن يدفع الثمن . فالمال غايته والمال خير لديه من البنت والولد واسمعه يقول

يا مال ما فيك من سحر ومن خطر
لقد نزلت بنـــــا عن رتبة البشر
لولاك ما بعت اطفالى فما كبدى
من الحـديد ولا قلبى من الحجر

وهذه معروضته شمس تقول انهن كن النهار كله « كالسلع المقلبة »

ولقد نزل المال به حقاً عن رتبة البشر كما قال صادقاً . وما يعرض عليه مراد بك الف دينار ثمناً لأبنته آمال حتى يصيح

— الف ؟ قبلت

وما كلمة آمال لأبيها إذ تصيح به

آمال — قف أنت عبد المال يا أبتى

تلقى البرىء لأجل المال فى النار

الا كلمة حق ووصف صدق لتاجر الرقيق الخسيس الذى كان فى ذلك العهد وله من السطوة والسلطان أعظم جانب ولتجارته من الرواج والانتشار ابعد مدى تدر عليه أخلاف الرزق وعطايا الذهب . فاذا سمعت هذا التاجر الذى يسوق الجنس البشرى كما يسوق الراعى قطعان الشاه والبقر يقول ان«الرق والموت على حد سواء» لم تأخذك عليه شفقة بل عظمت جنايته فى عينيك فانه الجانى الذى يدرك عظم الهول الذى هو ممارسه وليس بالغافل عنه ولا بالجاهله . وما تصبح ابنته الأمة التى كان يعرضها فى سوق النخاسة أميرة عظيمة الجاه ، زوجة أمير وحاكم كبير حتى ينحنى الوالد أمام البنت ، والتاجر امام الأمة ، وفى خضوع العبد الذليل يقبل الستر وموطىء القدم ! !

وتلك صورة من تجارة الرق فى ذلك العهد يقشعر من هولها البدن وتشمئز منها النفوس ولقد عرضها المؤلف في قوة وفي عنف غير قليلين

وأراد أن يصورها فى أبشع صورها فجعل الأب يتاجر بالبنين ولما أراد أن يلتمس العذر جعله من سحر المال ومن خطره ، وذلك هو العذر الذى يقال انه أقبح من الذنب وأوغر للصدر وآلم للنفس

على ان هذه الحال و إن بدت لعيوننا اليوم بشعة بغيضة ، فانما ننظر اليها من خلال حضارة القرن العشرين ومما ندين به اليوم من آراء ومعتقدات ، أما فى الأمس الغابر ، أما فى ذلك العهد ، فقد كانت هذه التجارة كغيرها لا ينظر اليها بمثل هذه النظرة ، وخاصة فى مصر التى كان حكامها أنفسهم ممن مروا بأسواقها وعرضوا فيها للبيع والشراء ، وهكذا كان على بك الكبير ومحمد بك ابو الدهب ومراد بك ابطال قصتنا ومن اليهم من سادة ذلك العهد ومن أبطال « دولة المماليك » وهذا على بك يقول .

على بك :

انا أيضاً مررت بالسوق يا آما ل حالى يا بنت من مثل حالك

خضوع الارقاء

وما كان للرقيق أن يعترض أو يتجنى على بائعه أو شاريه

و « هل يملك الرقيق الآباء » ! ! وما كان له الا ان يرضى بالقـدر الهازل ، ويخضع لمشيئة التاجر فيه حتى لقد مات فى النفوس كثير من صفات البشرية التى ترفع هذه المخلوقات فوق مرتبة الحيوان الأعجم وحتى لتسمع من بعض الاماء فى عرض القصـة ما ينبئك أن الأمر لديهم من المسائل المفروغ منها والتى لاتستحق مجرد أسف مكظوم أو عبرة حيرى ، فهم فى قصر الامير الذى سيعرضون عليه يسألون

زكية :

وأين بنو سـلطان لم لا نراهمو ألیس له ابن يغتدى ويروح
يرف الشباب الغض من طيلسانه وينفح ريحـان الصبا ويفوح

والاخرى اسمع منها رجع الصدى

شمس :

فلا خير في دار إذا لم يطف بها نسيم شـباب أو شعاع جمـال
ولا خير فى روض بغير بهارة ولا خير فى قاع بغـــير غزال

فهمهم من الدنيـا ألا تخلو الدار من نسيم الشباب ولا القاع من الغزال وما أشوقهم إلى ابن السلطان « يرف الشباب الغض من طيلسانه »

ومالى التى بالى إلى هؤلاء الفتيات وقد يكون لما شاهدن من الترف وما يطمعن فيه من النعيم ، وما تنتظره أنوثتهن من ضروب الاستمتاع فى ابهاء الشرق وتحت سمائه حافز ودافع وهذا على بك الكبير يتحدث عن الرق وعما كان رأيه ورأى أمثاله من المماليك فيه يقول

على بك :

فما كان منا من رأى الرق سبة ومن قال عند البيع لست أريد

وهل كان يستطيع ؟ « وهل يملك الرق الاباء » ؟ !

ما كان يرجوه الرقيق من بيعهم

غير انه ، وكأنما يعلل اسباب ذلك ويبتغى من وراء هذا اشباه أعذار ، يقول

على بك :

قد وقفنا بهذه السوق نبغى دولا من ورائها وممالك

وهذا مراد بك يقول لابيه مصطفى تاجر الرقيق اذ يتعارف عليه

« أبى ما بعتنا إلا لندرك الغنى »

وفى هذا كثير من الحق ، لان العادة جرت فى ذلك العهد ، ان يجمع كل ذى سلطان حوله الاتباع والأنصار ، يزخر بهم قصره ، و يباهى بهم ، و يكونون له عوناً فى الشدة ، وما أسهل السبيل مادامت السوق قائمة وفى يده الثمن . وأرقاء اليوم هم أنصار الغد وعدده ، يجرى عليهم الرزق ويخرجهم للدنيا على غراره وينفث فيهم من المهد سموم الحقد لغيره من المماليك الحاكمين حتى إذا أزفت الساعة نادى فلبوا ، ودعا فأجابوا ، وأمعن فى الخصومة اللدد وهم من حوله يعضدونه و يشدون من أزره .

تبنى الرقيق

و بلغ من عناية الحكام من المماليك باتباعهم انهم كانوا يتخذونهم أبناء أو فى مكانة الابناء فالقصر زاخر بالارقاء أو بالابناء كما شئت ولعل أصدق وصف لهذه الحال ما تقوله إحدى الاماء إذ تسأل عن أحد المماليك محمد ابو الدهب فيكون الجواب انه ابن السيد الامير على بك والثانى مراد؟ أخوه « هو أيضاً لم يلده ابوه »

لامة : اذن ، فعلى والد الناس كلهم وكل شباب الضفتين بنوه

غدر الرقيق بساداتهم

على ان هؤلاء الارقاء رغم كل ما كانوا يلقون من ساداتهم من نعيم وترف ما عليهما من مزيد ، ورغم ما يتقلبون فيه من نعماء ومن خير عميم ، كانوا آخر الامر يثبون على أولياء نعمتهم و يغدرون بهم شر غدر ويحاولون الفوز دونهم بالسلطان والجاه فهذا محمد ابو الدهب ربيب على بك وابنه على المعنى الذى قدمت

. . . . ليس برا ولا وفيا امينا

بالامس عق اباه فكان شر البنينا

واليوم يشهر حربا على الامير زبونا

واسمع ما يقوله على بك عنه وستفهم ما كان من فضله عليه

على بك :

يطاردنى فى الارض من دب فى يدى

وربى فى حجرى وشب ببابى

ومن طلب الدنيا بيأسى وسطوتى

فلما حواها فى يديه سطا بى

ومن عشت أبنيه واعمر ركنه　　فصير هدمى شغله وخرابى

بل هذا الابن هو الذى يثور على مولاه فينتزع منه البلد ويهزم جيوشه ثم يسقيه السم فيتوج بذلك صنيعه لديه

وهذا مراد الذى

يحب علياً جهده ويحبه　　على فبين السيدين وداد

كما يفهم الناس ، ليغرى بعلى من يحاول قتله ويهم هو من ناحيته بامرأته بعد سفره إلى الشام ثم إذ يتقابل معه فى ميدان القتال يرمى نفسه عليه ويتجالد

. . . . فلم　　يدعه حتى جرح

خيانة الاتباع والموالى

وإذا كان هـذا ما يفعله البنون والادنون فما تنتظر ممن دونهم فى المنزلة والمرتبة ؟ ما هو شر من الغدر وأدنأ من الخيانة وإنكار الجميل ان كان فى الدنيا ما هو امعن فى الحطة والخسة من ذلك . وهـذا رزق وكيل على بك ما يكاد يحس بقرب انهيار سلطة مولاه حتى يدير شراعه للريح الجديد ويتصل بأبى الدهب حتى يملأ يده منه

إذا الزمان بعلى بعد حين انقلب
يجعلنى محمد على خزائن الذهب

تجول الامراء

أما الغز والأمراء فأنهم حول ركاب محمد بك أبو الدهب

على بك :

. . . . وكذاك كانوا أمس حول ركابى

ومحمد بك أبو الدهب نفسه لا تفوته هذه الحقيقة فهو إذ يسأل أحد اتباعه عن هؤلاء الامراء فيقول له انهم

لا يذكرون علياً وبيته مذ بانوا

يجيبه

محمد بك

صدقت هم حيث كان الجديد فى مصر كانوا

ويتلمس على بك فى نكبته صديقاً أو مواسياً فهو لا يفتأ يسأل علي ثمة له من نصير

على بك : والازهر المعمور ؟

شمس : صـاد محمـــد فيه الشيوخ وعاد بالطلاب

وفى موضع آخر يتساءل فى لهجة العارف الفطن

على بك: ولم ينس أصحابى الفقهاء أيادى عندهمو والمنن

كيف وهل يبقى للمغلوب من ناصر أو معين ؟

وللفقهـاء على داره صباح مساء زحام شديد

ودار من غـير الحا كم الجديد محمد أبو الدهب ؟ ! ولو لم يكن هذا لـكان غيره فما تهم دار من هى ، ما دام أنها دار الفائز المنتصر !!

الغدر والخيانة بين المماليك

وهكذا يعييك أن ترى بارقة من الوفاء فى أى طبقة من الناس بحثت ، ولقد كان أسرع الغادرين أقربهم إلى المغـلوب على أمره ، وان كل هذا المثل أصدق تمثيل وأروعه فى صيحة على بك الـكبير اذ ينفثها من صدره فى ألم ومرارة

ويحى من الاتباع والأنصار

وتلك ناحية أخرى من نواحى ذلك العهد القاتم جلاها الشاعر

فى أوضح صورها وساق عليها شواهد متواترة وكشفها فى كثير من نواحى قصته ودلل عليها من أخلاق ابطاله ومن تتابع حوادث الرواية واتجاهاتها . فالمماليك لم يكونوا إلا مرتعاً خصبا لاخس صفات البشر وعلى رأسها الغدر والختل والخيانة وما اصدق ضاهر العمر إذ يصفهم

ذلك الغدر والمماليك فيهم   من قديم الزمان غدر وختل

بل هذا هو على بك الكبير ، وسترى عند ما تعرض لتحليل شخصيته أن المؤلف أبرز فيها كثيراً من الصفات الطيبة والخلال الحيدة ، اسمعه يقول لمحمد بك أبى الدهب عندما يدس له السم على بك :

محمد نل كل ما شئت منى   ومالى ألومك والسم فنى
أخذت الخيانة والغدر عنى

فكأنما كانوا يتوارثون الخيانة والغدر جيلا بعد جيل وفنون السم وما إلى ذلك بسبيل الابناء عن الآباء واللاحقين عن السابقين

الظلم وسطوة الحكام وعسفهم

وثمة نواح أخرى وجنبات مظلمة من ذلك العهد عرض لها

المؤلف فى سياق الرواية.وألم بها فى زحمة الحوار الماماً فأنت ترى كيف يهجم الجند على منازل الآمنين فلا يطاولهم فى سطوهم قطاع الطرق فنصفهم

« أزال العفاف ونصف سرق »

و غيرهم يقتلون أخوة فى ساحة من ساحات البلد ولماذا ؟

« قد سرق الأخوة جحش الـكتخدا »

و إذ يغضب أحد الأتباع من كلمة مزاح من زميل له يفرغ فيه مسدسه فما يزيد الامير إلا أن يشكر القاتل لانه خلصه من المقتول اذ كان يشك فى أمانته له و يوليه منصبه ! ! ويمضى القوم فى حديثهم كأنما لم تزهق بين أيديهم روح حرم الله قتلها الا بالحق .

وهذا مراد بك يصارحه مصطفى تاجر الرقيق الذى مر بك ذكره — وهو يحتضر و يتحشرج — أن ثمة سراً مهولا عليه أن يسمعه فيقول له

مراد بك :

اذن فقم ابق تأخر ساعة قل مالديك ثم مت كيف تشا

وليس بعد هذا استهتار بالارواح وسخرية بمصائب الناس وعدم مبالاة بما يكون من موت أو حياة فهما فى نظره سواء

فاذا كان هــذا الى جانب ما سلف مما عرضه المؤلف فى روايته وأتينا على بعضه هنا فلا تستكثر أن تسمع فى سياق القصة أحد الخدم يصف ذلك العهد قائلا

نحن فى أيام جهل وبلاء وجنون
اصبح الناس على الوا دى بلا دنيا ودين
وقف الحا كم من كل رخيص وثمين
مثل ماقد وقف الدائن من مال المدين
وشريك الشعب فى كد يديه والجبين
وشريكا فى الأوانى وشريكا فى الصحون ..

ولا تستكثر على على بك الكبير كلمته فى ختام القصة

بناء المماليك واهى الاساس وسلطانهم مضمحل العمد

فهو أدرى وهو بمثل هذه الامور خبير ،

الاحقاد بين الناس وتخاذلهم

ثم انه ليشكو من علة ما زالت ترددها ضفتا النيل من يوم عرف التخاذل سبيله بين أهل هذا البلد واليها يعزى أسباب ما غشى البلد من ضروب السقوط والهوان والق اليه السمع وهو يقول على بك :

إذا قام بان إلى غاية تعثر بالهادم المجتهد
وأولع بالعصبة العاملين رجال كسالى منوا بالحسد
فلم ير واحدهم همة وفضلا لآخر الا حقد

وهكذا لا تطالعنا إلا صور قاتمة لهذا العهد تأخذ بعضها برقاب بعض وهناك ثمة نواح أخر أتى المؤلف على ذكرها فى عرضه لشخصية على بك الكبير وسنفصلها عند حديثنا عن بطل القصة وعن غيره من شخصياتها

على بك الكبير

(٢)

وهو بطل الرواية والمحور الذى تدور عليــه حوادثها وقد عرض المؤلف جوانب عــدة لهذه الشخصية وصورها فى مواقف مختلفة فى سياق الرواية نستطيع على ضوئها أن نهتدى إلى الطابع الذى أراد الشاعر أن يطبعها به

سياسته

وأول ما يهمنا بطبيعة الحال ان ندرس سياسة الرجل وآراءه فى تصريف الحــكم والسلطان

تقع حوادث الرواية فى أواخر عهد على بك الــكبير وكان

قد جاوز الشباب الآ   انه كهل نضر

فلم يعد بالشاب النزق ولا بالغرير الذى لا يقدر اتجاه الامور ولا خطورتها وكان كغيره من سادة المماليك قد اتخذ الموالى والانصــار

وأغدق عليهم سابغ النعم والعطايا وجعل من محمد أبي الدهب ومن مراد اكبر أعوانه بل وضعهما فى مصاف الابناء واللدات ولكن كانا أول من وثب عليه وقد مر بك شرح ذلك

ونرجع إلى ما كنا فيه فنقول ان على بك قدر موقفه حق قدره وعلم ان الأزمة اشتدت حلقاتها وابطأ انفراجها فما يكاد بشير بك ينقل اليه ان أبا الدهب .

حاز الأقاليم اليـــه وتألف العـــرب

والغز فى ركابه والشعب جذلان طرب

و ينصحه

فلنرتحـل فربمـا جن فعجل الطلب

حتى يستمع لنصحه و يعتزم الخروج نحو الشام و يسأله أن يهيء جياده و يدعو خير صحابه لمرافقته . فاذا سأل بشير

بشير — وماذا وراء الشام ؟

على بك :

اسـ ـد ضراغم الفهموا حولى لنصرة غابي

يزيد بهم جيشى وتقوى عشـيرتى

ويشـتد ظفرى فى القتال ونابى

ويعاوده الحنين إلى آمال عروسه التى تزوجها من هنيهات ويكاد يضعف أمام سلطان الحب وبشير بك يمهد له فى البقاء على أن ينتظروه فى العريش ولـكن حرج الموقف لا يدع له مجالا للاختيار فما ثمة وقت لاجابة داعى الغرام وما تخفى دقة السـاعة على على بك الـكبير وها هو يصيح ببشير

بل امض بنا سر بنا سر بنا   فما جلب الخير مثل البـكور

ويؤكد قوة العزم هذه التى تلمحها من الرجل فى الحال التى مر بك ذكرها موقفه من ضاهر العمر إذ ما يكاد هذا ينبيه أن

كل شىء كما تحب مهـيا

ويسأله

فمتى الظعن سيدى ؟ مر نسـافر

حتى يبادره قائلا

على بك :

غدا الظعن يا أخى قم تأهب   إنمـا الغنم للخفيف المبـادر

فهو كما ترى لا يدع الفرصة تفلت من يده ولا يتلكأ أو يمشى
على مهل وهذه شيمة الرجل الحكيم الذى لا يتوانى عن العمل ولا
يجعل لمشاغل القلب أو غيرها من نزعات النفس سلطانا عليه وهذه
بعض صفات رجل الجد والحكم القوى القادر وهى بارزة فى سياسته
كل البروز

محاولة الاستقلال بمصر وطرد الاتراك

ومن أظهر نواحى سياسته محاولاته فى هدم سلطة بنى عثمان فى
مصر والاستقلال بحكمها دونهم وذلك ما يطالعك من ثنايا القصة فى
مواقف عدة فهو قد حاربهم غير مرة واسمعه يلوم محمد أبى الدهب
على محالفته للاتراك ويذكر حروبه معهم

على بك :

ابو الدهب الغر بالترك لاذ وفى مصر فى غدها ما افتكر
وكم قد غزاهم على رايتى وكم من سلاح عليهم شهر

وهو إذ يعتزم السفر إلى الشام يطمع فى أن يعود فيتغلب على

محمد أبي الدهب الذى انتقض عليه وعلى الوالى العثمانى و يظفر بالبلاد حرة لا ينتقص من سيادتها وسلطانها أحد وهاك اسمعه يقول على بك :

وأرجع حراً تحتى النيل كله وما من بنى عثمان فوقى والى

فهو يطمع فى سيادة النيل على أن يكون حاكمه المطلق الحر لا يحد من سلطانه ولاة بنى عثمان . ويؤكد هذه الناحية من سياسته قوله لضاهر العمر قبيل بدء المسير إلى مصر أنه يريد أن ينتزع البلاد . . . . . . من قبضة الترك ومن كل فاسق الحكم سادر

و يتوج هذا المعنى كله ما فاض به قلب الرجل وهو فى حشرجة الموت شرحاً لسياسته وتذكاراً لما ناله من صروف القدر ولقد أجمل كل ما فصلناه هنا فى كلمته

على بك :

صيرت حرب الترك وجه سياستى

حتى اقتنيت عداوة الاقوام

فما لنا بعد ذلك من سبيل لأنكار هذه الناحية من سياسة

الرجل التى ما زال المؤلف يشرح غوامضها وعواملها المختلفة حتى جلاها فى أوضح صورها

لا يلوذ بالاجنبى

وثمة ناحية أخرى فى سياسة الرجل وضاءة نيرة بذل لها المؤلف من جهده الشيء الكثير وأفرد لها موقفاً من مواقف الرواية لعله من أروع مواقفها وابعثها على الأعجاب والتقدير لبطلها . وقبل أن ننتقل بك إلى هنا المشهد الذى نعنى نذكرك بما تقدم به القول من لوم على بك لمحمد أبى الدهب لاستعانته بالاتراك ويصفه بالغر ويأخذ عليه أنه

. . . . فى مصر فى غدها ما أفتكر

وتلك نظرة السياسى الحكيم الذى لا ينسى أن الاستعانة بالاجنبى ليست لها إلا نتيجة واحدة هى تغلغل سلطة هـذا الاجنبى الغريب وتفرده على الزمن بالحكم والسلطان

والان ننتقل الى المشهد الذى المحنا اليه وذلك حيث تعرض روسيا على على بك الكبير عونها ومددها فى استرجاع حكمه والتغلب على محمد أبى الدهب فيأتى مصر

. . . . فى الدارعين وفى الفولاذ والمال

فهذا الاسطول تحت امرته ، وما شاء من جند الروس لنصرته ، والذهب والمال رهن اشارته . وما تنتظر أن يكون جواب الرجل فى مثل حاله ؟ وهو الشريد الطريد الذى تغرب عن الديار والوطن وترك فى مصر اتباعه يسامون الخسف والهوان وآله وعياله ما يكادون يجدون لقمة سائغة وعروسه التى احب وهوى ؟ ! ما جواب على بك الكبير ؟

على بك :

لااستعين على الاهل الغريب ولا ارمى الذئاب على غابى واشبالى

والرجل فى مثل الحال التى وصفنا ليلتمس له الناس الف عذر لو فعل ورضى بيد الروس الممدودة فى كرم وسخاء . وما ذا يخشى ؟

على بك :

رباه ماذا يقول المسلمون غدا ان خنت قومى وأعمامى وأخوالى
يقال فى مشرق الدنيا ومغربها فعلت فعلة نذل وابن انذال

وهاك رأيه فيما عرض عليه لا لبس فيه ولا غموض فانه يعد الاستعانة بالغريب فعلة نذل وابن انذال . وانه ليخشى من كلمة الناس فيه .

نبل اخلاقه : —

و بذلك بلغ على بك أسمى درجات النبل ووقف موقفا مشهودا لو حاد عنه لوجد مسوغا لفعلته ولاستطاع أن يمهد لنفسه العذر . ولا يفوت مافى هذا الموقف من النبل والكرم قائد الاسطول الروسى ورسول القيصر اليه فهو يقول له

القائد :

مولاى تلك معان تحتها كرم ليست لمن طلب الدنيا بأشغال

وكانه بذلك يغريه و يستحثه على قبول ما عرض عليه ، ولكن اما ثمة من وسيلة غير هذه لطلب الدنيا ، الا

على بك :

بعدا وسحقا لعلياء الأمور إذا لم التمسها بخلق فاضل عال

وتلك أرفع سماوات الخلق النبيل العالى . بلغها على فى موقفه هذا المشهود .

ومما يزيد هذه الناحية من خلق على وضاءة واشراقا ما علمت مما كان من امر خصومه معه . فهذا محمد أبوالدهب وثب عليه واضطره

إلى الخروج من البلد مشردا طريدا بعد ان كان الحاكم الآمر . وهذا مراد الذى انضم الى أبى الدهب ونصره على ولى نعمته ، بل مراد الذى هم بزوجة على وراودها عن نفسها ولم يرع حرمة الامير سيده واصل نعمائه وسؤدده . بل مراد الذى اغرى بعلى من يقتله واوفد مجرما اثيما هم بسفك دم الامـير لولا ان اراد الله له النجاة وكتب له السلامة ؟

ومن محمد أبو الدهب ومن مراد ؟ هم مماليك على ، اشتراهما بماله ورفعهما فوق مراتب السادة وفى مراقى الحكم والجاه درجات . وبعد كل ما صنعا معه ، مما نمى اليه خبره وأصبح بامره عليما ، بعد كل هذا لا يزالون منه فى منزلة الابناء والأولاد ولو انهم الجناة المذنبون وما أروع كلمته التى كأنما هى رجع الصدى لنبالة خلقه وكرم طباعه على بك :

. . . . ان الجناة على هم أولادى

ومصر ! ! مصر التى انتقضت عليه وانحازت إلى محمد أبى الدهب وشيعته دونه ؟ هل ثمة متسع للحلم والتسـامح ؟ اجل . بل هـذا هو

الرجل لا يذكرها إلا بالخير بل يخلع عليها آى الحمد والثناء

على بك :

بلد رعانى فى الصبا وأحلنى   بعد الشباب مراتب القواد

***

لا تنس موضع مصر واذكر ما لها

من انعم ســـــلفت وبيض أياد

وأسمعه يقول ، وكأنمــا يلتمس لمصر الأعذار وأخلق به فى مثل حاله أن يكون الساخط الحاقد

على بك :

ما ضر مصر وضرنى إن لم تكن   مهدى وكان بغيرها ميــلادى

وليس ثمة بعد ذلك فى شيم الـكرام مبتغى ومزيد

وما يكون جزاؤه من مراد وأبى الدهب ؟ يميل عليــه مراد فى القتال حتى يثخنه بالجراح ويدس له أبو الدهب السم فى الـكأس . وأصدق ما يقال فى وصف ذلك كلمته هو نفسه إذ يقول

على بك :

ويحى فما وقف الرجال كموقفى　　　من ظلم أحباب وكيد أعادى

وحقاً

على بك :

اذا بغى الاهل والأقربون　　　فكيف من العالمين الحذر؟

وفاؤه

وفى بعض ما تقدم ما يدلك على وفاء على بك الكبير لصحبه واتباعه بل ومغالاته فى ذلك إلى أبعد مدى فهو يشفق ان يرمى

. . . . بالروس الشداد جماعة　　　ضعفاء مهزولين غير شـــــداد

وفى حديثه مع قائد الأسطول الروسى إذ ينال هـذا من مضيفه ضاهر العمر يصيح به

على بك :

فزن القول يا نبيل وأمسك　　　لا تنل ذكرى صاحبى بهوان

فهو يرد غيبة صاحبه ويفى له اجمل وفاء

بره بالفقراء

وعلى بار بالفقراء كريم جواد ، جرى على أن يطعم كل يوم خميس ألفاً من الجائعين كما يقول خادمه ، بل هو مسرف فى بره حاتمى فى عطائه وهذا رزق وكيل خزانته يقول له . .

رزق : . . . . كم ذا تجود وكم تهب
ان الخزانة أصبحت بنداك كالجحر الخرب

وما أريد ان أطيل عليك فأنقل لك كلمة على بك التى يتحدث فيها عن أطعامه الفقير ، وسقيانه ابن السبيل ، وحضنه اليتيم ، ورفقه بالعجماء ، وما شيد من دور للبؤساء والمعوزين والمرضى ، فارجع اليها ان شئت فى سياق الرواية ، ولكن لا يفوتنى ان أذكر لك أن على بك ما يكاد يقابل شمس التى وفدت اليه من مصر حتى يكون أول سؤال له .

على بك :

ومواندى يا شمس ؟ كيف موائدى
والطاعمون بها وكيف رحابى ؟

اتراهمو قد ردهم خدمى وقد منعوا طعامى عنهمو وشرابى ؟

فما يسأل عن ملكه وعما فعلت الأيام وصروف الدهر بجاهه العريض ، ولا عن حال الانصار والمخلصين من الاتباع ، ولا عن أسرته وعياله ، ولا عما فعل اعداؤه باملاكه وضياعه ،لا ، ماهمه شيء من كل هذا ، بل موائده والطاعمون عليها وهل ردهم خدمه ومنعوا عنهم طعامه وشرابه ؟

وتلك رقة فى القلب لا تكاد تلتمسها فى رجل غير على فى مثل حاله وفى مثل كربه وشدته

عنايته بالازهر و بالثقافة : —

وما يطمئن على هذه الناحية حتى يسأل شمس
والأزهر المعمور ؟

ولا شك انك تلمس فى هذا عنايته بالازهر وهو مالا جدال فيه ولقد كان بره لاينقطع عن العلماء والفقهاء فقد كانت له عندهم اياد ومنن كما يذكر آسفا ومعاتبا . اما عن اهتمامه بالثقافة الى جانب هذا فانا نلمحه الى قوله

ونبنى فركن للثقافة والحجا   يشاد وركن للصلاة يقام

اعتزازه بالصانع المصرى :

وهذه « المصرية » التى تغلب على نزعة على بك الكبير وتصبغ سياسته بصبغة ظاهرة فى مناهضته للترك وحروبه معهم وفى رفضه الاستعانة بالروس على غزو البلاد ، نلمسها كذلك فى ناحية من نواحيها فى اعتزازه بالصانع المصرى وافتخاره به فهو اذ يعدد لآمال مافى قصره من دقيق الصناعة وجمال الزخرف ودقة الفن يردف ذلك بقوله :

على بك :

وكل ما أبصرت فى   قصرى من صنع البلد
فليس يعلو الصانع   المصرى فى الذوق احد

فما نغالى اذا قلنا ان الطابع الظاهر لعلى بك الكبير طابع مصرى صميم يطالعنا من ثنايا القصة ومن خلال مشاهدها المختلفة ولا يفوتنا انه أحد ثلاثة حاولوا الاستقلال بأمر هذا البلد ، على بك الكبير ، والالفى مستعينا بالانجليز ، ومحمد على معتمدا على قوة الشعب وانتصار العلماء والجند له ، وهزم الأول وفشل الثانى ، وكتب الله النصر للثالث

وجمل القول فى على بك الكبير ما أوحاه الشاعر الى آمال فى ختام القصة إذ تقول عنه بعد ان قضى من جراحه ومن السم

آمال

عفا الله عنه كان شيخا مصليا محب اليتامى راغبا فى المثاوب
لقد طلب الدنيا بمصر فنالها فولى إلى الاخرى وجوه المطالب

وتلك زبدة القول فيه وخلاصة الحديث عنه

امال :

ولعل شخصية آمال هى أغرب شخصيات الرواية وأجدرها بالدرس والتحليل وانك لتلمح فى خلق هـذه الفتاة لاول وهلة ما تروعك . ومن هى آمال ؟ امة وابنة مصطفى اليسرجى بائع الرقيق وقد أتى بها مع أترابها لبيعها فى سوق مصر و بينا لا يجـد أترابها فى بيعهن ما يؤلم أو يورث الحزن ، نجدها ثائرة صاخبة تأبى أن تسام كالحيوان الاعجم وتباع فى السوق بيع الرقيق فهى متمردة على ابيها تسمعه قارص القول ، متمردة على شاريها تنفر منه وتجابهه برأيها فى غير ما مواربة أو خفاء فهي كما تصفها أم محمود الماشطة

ام محمود

يا سيدى النخاس هذه ضبع فارجع بها لا تشرها ولا تبع
الا إذا ساومنا فيها سبع

وآمال تصرخ فى أترابها وفى أبيها

سوام نحن أم نحن نفوس آدميات

وانها لمعذبة شقية لا تطمئن إلى ما اطمأن اليه اخواتها وقد مر بك مجابهتها لأبيها إذ تقول له

. . . . قف أنت عبد المال يا أبتى
تلقى البرىء لاجل المال فى النار

***

فبيع الجنس فاحشة أليس كذلك ؟ اعترف

وليست ممن يغرها الترف ولا نعيم القصور ولا تأخذها روعة ما ترى من أسباب البذخ والثراء ، ولا تستلب لبها اطماع الغنى

المنتظر ولا الجاه الذى تسمو اليه الأمة فى بيوت سادة المماليك وحكامهم وهذا بين واضح فى كلمتها إذ يحاول أبوها أن يوقظ فى قلبها حاسة الطمع وشهوة الحكم والمال

مصطفى :

فتحكمين بمصر وتنزلين القصورا

ولكن

آمال :

ملكة أو أميرة أبهذا القب

فليست القاب ألامارة والملك مما يخدعها عن الحقيقة التى تنفر منها وتجاهد فى الخلاص من الوقوع بين براثنها ، وما الفقر ؟ أهو سبة وعار ؟ وما الرق ؟ أهو المجد والخطر ؟ واسمعها منها كلمة لا تمت من غموض فيها

آمال :

أبى شرف على فقر ولا فقر إلى الشرف

واذ يتقدم مراد بك لشرائها من أبيها تمانع وما تزال على ابائها

وشممها ، ترفض أن تحمل كالشاة فليست « . . . مخلوقة للبائع الشارى » وما تبالى غضب الأمير أم كان من الراضين . وهى كذلك امام على بك الكبير ما تخشى سطوته ولا جبروته وهو الحاكم السيد وهى الأمة الرق ، ولا يفوت على بك أن يفطن إلى حقيقة شعورها وانه ليكبر منها هذا الاباء

على بك :

فداؤك نفسى هذه نفس حرة وهـذا أباء ما عليه مزيد

ويعرض عليها الزواج ، وكان خليقاً بها أن تشكر له هذه اليد فلو أراد شراءها لاغتصبها قهراً ولكنه الكريم السمح ، اتراها بعد ذلك شاكرة له صنيعه ؟ اتراها تجيب أباها اذ يسألها أن تتقدم للأمير بالحمد والثناء ؟

آمال :

علام ؟ أجربته بعـد ؟ لا سأعلم ما صاحبى فى غد

وفى هذه الكلمة ا كتملت لآمال عناصر شخصيتها القوية التى تبهرك وتروعك والتى تكبر منها هذا الاباء وهذا الشمم فهى على

شكر الأمير لاتقدم وقد اعتقها من الرق وارتضاها زوجة قبل أن تجر به؟!

ضع هـذا إلى جانب ما تراه من حرصها على كرامتها وحفظها غيبة زوجها وصيانة عرضه إذ يتهجم عليها مراد بك بعد سفر على ويراودها عن نفسها فترده أقبح رد وتلزمه معها حد الأدب

آمال :

لا تدعنى باسمى ولـكن نادنى باللقـب
مراد هـذا هوس قف عند حد الأدب

وهى كما تصفها شمس بحق فى حديثها لعلى بك

. . . . خير عقيلة وأجل ربة منزل وحجاب
ملأت مكانك عزة ومهابة وكست حماك جلالة المحراب
لوكنت أمس ترى رأيت أبية غضبى محامية عن الاحساب

فهذه الشخصية جليلة ، كبيرة الخطر ، وانها لتمثل نزعة للمرأة هى فى المثل الاعلى من إباء وعفة ، يزيد فى جلال شأنها أن هذا الخلق يصدر ، عن أمة مثلها آلاف فى السوق كانت تباع وتشرى ، وان النفس لتستروح من ثنايا خصالها ما يدفع إلى القلب اسمى درجات الاحترام والاعجاب

محمد أبو الدهب

وقد مر بك ذكره مرارا وتكرارا وما نريد أن نطيل وقد فاض الحديث فى جنبات عدة من شخصيته جاءت فى سياق القول ، فقد علمت ماكان من نعماء على بك وافضاله السابغة عليه وما كان منه من جحود للنعمة وانكار للجميل . ولقد علمت ما كان من أمر استعانته بالترك على أهل البلد . ثم هو بعد ذلك منافق غادر . ما يكاد يلمح عليا على فراش الموت حتى يبادره

أبو الدهب :

يا ويح لى ماذا ارى هـذا أبى وسيدى
سـيعلم المغرى به كيف عقابى فى غد

ولا يمهله حتى يدس له السم فى الشراب وهو ولى نعمة وسبب ما هو فيه من خير ونعيم وما اصدق ماقيل فيه

الذئب جرب فى المربى ظفره فاصابه لاتحو دارك أرقما حتى تحطم نابه

وهو فى مقابلته لضاهر العمر مخاتل خداع ، يلقاه أهلا وينزله سهلا ، ولكنه يبيت له الغدر ويشمت به ساخرا اذ يرد عليه سيفه

أبو الدهب :

أنت خل للبائسين وفى   وهو أيضا لهم صديق وخل

ويستبقه بمصر ولا يسمح له بالعودة الى دياره خشية ان يعاود الكرة عليه ولعله يفوز من حيث اخفق فى هذه المرة. بل هو يستبقى رجال ضاهر قائلا إذ يسأله هذا عنهم

. . . . سيلحقونك فيها   لك عندى وللعشيرة نزل

ومن البدهى ان نفهم ان مقامهم سيكون مقام الاسير الذليل ، ولا يفوت ضاهر هذا فهو يقول

ضاهر :

ذلك الغدر والمماليك فيهم   من قديم الزمان غدر وختل

مراد بك :

وما مراد بك إلا صنو محمد أبى الدهب بل انه ليكفر بايادى على ويمعن فى الخصومة اللدد حتى ليغرى به من يقتله ويميل عليه فى القتال حتى يثخنه بالجراح ، وحتى يتهجم على عرضه ويراود زوجته

ولو لا انها عصمت نفسها لنال من شرف على ما أراده ومراد هذا ، هو الذى يقول له على بك ، وتعلم من ذلك ما كان من اتصالها وسببه ورعاية على له

على بك :

انت الذى اشتريته بفضتى وذهبى
ولم أقصر معه عن واجب المؤدب

ولا يجد مراد ما يقوله غير

مولاى خلنى إلى ضميرى المعذب
أعف فأنت أهله هب لى جرائمى هب

ظاهر العمر

بقيت لنا من شخصيات الرواية هذه الشخصية القوية التى اخرجها المؤلف فى صورة من المثل الأعلى للشهامة والوفاء ، ومراعاة الجار والذود عن حياضه والقيام دونه بالنفس والنفيس ولقد أحببنا ان نختم بها دراستنا حتى نستروح قليلا فى جنباتها بعض ما تطالعنا به صفاتها من التكرم والجود والوفاء وأباء الضيم

حل على بك الكبير فى منزل ضاهر هذا فكان على حد قوله

انا فى الدار أول منذ هاجر ت اليها وصاحب الدار ثان

وانه ليسهر على ضيفه يقظان منتبها ويحوطه بحرسه أينما سار خشية أن ينساب اليه من يحاول أن يمسه بضر فما ترى ذلك القاتل الذى حاول قتل على غيلة حتى تجد ضاهراً قد حضر وهذا على يعجب ويدهش وما يزيد ضاهر على أن يقول

كنت عليك يا صديقى ساهراً

وأروع مايتمثل لك هذا الخلق فى ضاهر ، فى المشهد الذى يتقابل فيه مع محمد أبى الذهب بعد انهزامه وعلى ، فما يكاد يتسلم سيفه حتى يسأل أبا الذهب

ذاك سيفى فأين اكرام ضيفى ؟ مالى اليوم غير ضيفى شغل

وأسمعه قبل ذلك يقول

كيف أمشى فى الشام أو فى سواها

البس العز حين جارى يذل

وهو فى وفائه لعلى لا يخشى أن يقول امام خصمه اللدود أبى الذهب

ملك ماله على الأرض مثل كعلى من . . . .

وتلك أبعد غايات الوفاء واسمى درجات الشهامة واكرام الجار وأعزاز الضيف والذود عنه

أما عن شجاعته وشدة بأسه فاسمع كيف يجابه أبا الدهب وهو بين يديه أسير وفى صراحة ورباطه جأش

ضاهر : اسرونى ولو بقيت طليقاً

محمد بك : ما الذى كنت صانعاً

ضاهر : كنت تبلو

كيف ابنى اللواء حول حليفى وأرم الصفوف إذ تضمحل

ولقد جنت على الرجل صراحته فان أبا الدهب ليس بالغر الذى يترك مثل هذا الرجل حراً طليقاً

محمد بك : لا بل ستبقى بمصر ضيفاً علينا

***

و بعد ، فهذه دراسة تحليليه للرواية ولابطالها انتزعناها من صلب الرواية نفسها ، نرجو أن تعين القارىء على تفهم أغراضها ومراميها ، وما استقصينا ولكن نضرب الأمثال

تطلب الكتب الآتية للمؤلف من متعهدها احمد افندى عبد الوهاب بشارع جلال نمرة ٨ بمصر ومن المكاتب الشهيرة بجميع الأقطار العربية .

٢٠ ثمن الشوقيات جزء أول (وهو نادر)

١٥ » » » ثان

٨ » » للمدارس

٥ » رواية مصرع كليوباترا

٥ » » مجنون ليلى

٥ » » قمبيز

٥ » » على بك الكبير

٥ » » عنتر

٥ » » أميرة الأندلس

٥ كتاب أسواق الذهب

} تحت ال

